اسمُ المقرَّر

((مناهج المفسرين))

أُستاذُ المقرَّر

د. حَاتِم مُحمَّد مَنْصُور مَزْرُوعَة

المحتوى مطابق تماما
أكليل الورد:
المستوى السابع
1438هـ

المحاضَرَةِ الأُولَى:

((1)) تعريف مناهج المفسرين.

((2)) فائدة هذا العلم.

((3)) الكتب المصنفة في هذا العلم

<u>تعريف مناهج المفسرين:</u>

•مناهج المفسرين مركب إضافي من كلمتين هما: (مناهج) و (المفسرين)، وسنعرف كل كلمة على حدة، ثم نعرفه بتركيبه.

•أصل كلمة المناهج من نهج، يقال: طريق نَهْج أي بيّن واضح، ومثله مَنهج ومِنهاج.

•والنَّهج: الطريق المستقيم .

•وأنهج الطريق: أي وضح واستبان.

وقد وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم ، قال تعالى:((لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا))(المائدة:48).

أي سبيلا وسنة، قال ابن كثير رحمه الله: فإن الشرعة وهي الشريعة أيضا، هي ما يبتدأ فيه إلى الشيء ومنه يقال: "شرع في كذا" أي: ابتدأ فيه. وكذا الشريعة وهي ما يشرع منها إلى الماء. أما "المنهاج": فهو الطريق الواضح السهل، والسنن: الطرائق، فتفسير قوله:((شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا)) بالسبيل والسنة أظهر .

أما (المفسرون): فهو جمع مفسر، والمفسر في اللغة: هو الموضح والمبين للشيء، والمراد هنا الموضح والمبين لمعاني كلام الله عز وجل.

وأما المعنى الاصطلاحي لمناهج المفسرين:

فهو العلم بنشأة علم التفسير ومراحله وتطوره مع بيان أساليبه واتجاهاته وأنواعه والكتب المصنفة في كل نوع.

<u>فائدة هذا العلم:</u>**

1-معرفة تاريخ علم التفسير ولا يخفى شرف وعظم علم التفسير.

2-معرفة المفسرين من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من أعلام الأمة.

3-معرفة كتب التفسير.

4-تسهيل التعامل مع هذه الكتب.

5-تيسير الوصول إلى المعلومة المرادة حول كتاب الله عز وجل.

<u>الكتب المصنفة في هذا العلم:</u>**

لا يوجد للمتقدمين كتب بعنوان: مناهج المفسرين، فإن هذا المصطلح ظهر حديثا ولذلك المصنفات التي تحمل هذا العنوان ظهرت متأخرة.

ولكن توجد موضوعات هذا الفن موزعة في كتب المتقدمين، فمثلا:

1-مقدمات التفاسير: تحتوي غالبا على قواعد مهمة في تفسير القرآن، ونذكر منها: مقدمة تفسير ابن جرير، ومقدمة تفسير ابن عطية، ومقدمة تفسير القرطبي، ومقدمة تفسير كتاب المباني لنظم المعاني وقد طبع مقدمة هذا الكتاب مع مقدمة ابن عطية قديما في مصر بتحقيق بعض المستشرقين.

فمقدمات التفاسير مما ينبغي لطالب العلم الاعتناء به.

2- بعض الكتب المؤلفة في أصول التفسير:

مثلا: هناك رسالة لشيخ الإسلام ابن تيمية مطبوعة ضمن فتاويه ومطبوعة مستقلة بعنوان: مقدمة في أصول التفسير.

وهي رسالة قيمة جدا اختصرها ابن كثير في مقدمة تفسيره.

وألف الإمام الكافيجي كتابا بعنوان : التيسير في أصول التفسير.

<u>3- كتب علوم القرآن:</u>

فإن هذه الكتب تذكر كثيرا مما يدرس في هذا المقرر، فمثلا كتاب البرهان في علوم القرآن للزركشي، وكتاب الإتقان في علوم القرآن للسيوطي قد احتويا على أبواب كثيرة من مناهج المفسرين، مثل، طبقات المفسرين، أنواع التفسير، شروط المفسر، الكتب المصنفة في التفسير وهكذا..

<u>4- كتب طبقات المفسرين:</u>

ويراد بها تراجم وسير العلماء الذين صنفوا في التفسير، وتتناول غالبا سيرة العالم المفسر وأهم ميزات كتابه ومنهجه في هذا التفسير

ثم ظهر هذا العلم بهذه التسمية في العصر الحديث وأصبح مادة تقرر في معظم الكليات الشرعية، وتخصصًا في التفسير وعلوم القرآن، وأشهر المصنفات فيه هو كتاب:

التفسير والمفسرون

للدكتور: محمد حسين الذهبي

وهو الذي سيكون مقررا ومرجعا في تدريسنا لهذه المادة

بعدما تعرَّفنا-بحول الله وقوته- على (مقدمة في مناهج المفسرين) لعلنا في شوق للتعرف على (تعريف التفسير والفرق بينه وبين التأويل).

فيا تُرَى: ما هو تعريف التفسير؟

وما هو تعريف التأويل؟

وما هو الفرق بين التفسير والتأويل؟

كل هذا سنتعرَّف عليه-بمشيئة الله تعالى- في المحاضرة القادمة.

وختامًا أقول: تعلَّم العلم واظفر... تحز فخار النبوة

فالله قال لـــــــــ(يحيى) ... (خذ الكتاب بقوة)

المحاضَرَةُ الثانية

تعريف التفسير والفرق بينه وبين التأويل

عَناصِرُ المحاضَرَةِ الثانية:

سنتكلَّم في هذه المحاضرة بمشيئة الله تعالى عن العناصر التالية:

أولًا: تعريف التفسير لغة واصطلاحا.

ثانيًا: تعريف التأويل.

ثالثًا: استخدام لفظ التأويل بين المتقدمين والمتأخرين.

رابعًا: الفرق بين التفسير والتأويل.

أولًا: تعريف التفسير لغة واصطلاحا.

أ-التعريف اللغوي:

التفسير في اللغة هو الإيضاح والتبيين، قال تعالى: ((وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا))، أي: وأحسن بيانا وتفصيلا.

وهو مأخوذ من (الفسر) الذي هو الإبانة والكشف.

فمن هذا يتبين أن التفسير يستعمل لغة في الكشف الحسي وفي الكشف المعنوي.

ب-التعريف الاصطلاحي:

عرَّفه أبو حيَّان بقوله: علم يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها، وأحكامها الانفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تُحمَل عليها حالة التركيب، وتتمات ذلك.

وعرَّفه الزركشي بقوله: علم يُفهَم به كتاب الله عزَّ وجل المنزَّل على نبيه محمد -صلى الله عليه وسلم-، وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحِكَمِه.

وعرَّفه بعض العلماء بأنه: علم نزول الآيات وشؤونها وأقاصيصها والأسباب النازلة فيها، ثم ترتيب مكيها ومدنيها، ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامها، ومطلقها ومقيدها، ومجملها ومفسرها، وحلالها وحرامها، ووعدها ووعيدها، وأمرها ونهيها، وعبرها وأمثالها.

تعريف موجز للتفسير:

نستطيع أن نستخلص من هذه التعاريف تعريفًا جامعًا مختصرًا فنقول: هو علم يبحث عن مراد الله عزَّ وجل بقدْر الطاقة البشرية، فيدخل فيه كل ما يحتاجه المفسِّر من علوم للوقوف على معنى كلام الله تعالى.

ثانيًا: تعريف التأويل.

التأويل لغة: مأخوذ من الأَوْل، وهو الرجوع، قال صاحب القاموس: آل إليه أوْلا ومآلا؛ أي: رجع، وأوَّل الكلام تأويلا وتأوَّله؛ أي: دبره وقدره وفسره، والتأويل يطلق على تعبير الرؤيا.

ورود التأويل في القرآن الكريم:

وردت كلمة (التأويل) في القرآن الكريم على معان مختلفة:

1- بمعنى التفسير والتعيين: كما في قوله تعالى: ((فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ)).

2-بمعنى العاقبة والمصير: كما في قوله تعالى: ((فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا)).

3-بمعنى وقوع المخبَر به: كما في قوله تعالى: ((هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ)).

4- بمعنى تعبير الرؤيا: كما في آيات سورة يوسف ومنها: ((وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ)).

<u>التأويل عند السلف:</u>

<u>للتأويل عند السلف معنيان:</u>

1- الأول: التفسير، فهو مرادف عندهم للتفسير، ولذلك يقول ابن جرير في تفسيره: القول في تأويل قوله تعالى كذا وكذا، أي القول في تفسير هذه الآية.

2- الثاني: نفس المراد بالكلام، فإن كان الكلام طلبًا كان التأويل نفس الفعل المطلوب، وإن كان خبرًا كان التأويل نفس الشيء المخبَر به.

فإذا قيل: طلعتْ الشمس؛ فتأويله: هو نفس طلوعها وهكذا.

<u>التأويل عند المتأخرين:</u>

التأويل عند المتأخرين هو صرْف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح؛ لدليل يقترن به.

وهذا هو التأويل الذي يتكلمون عليه في علم (أصول الفقه).

ولكي يكون التأويل صحيحًا لابدَّ من أمرين:

1-احتمال اللفظ للمعنى الذي حُمِل عليه.

2-قيام الدليل الذي أوجب أن يُصرَف اللفظ عن معناه الراجح إلى المرجوح.

بدون هذين الأمرين يكون التأويل باطلًا.

<u>الفرق بين التفسير والتأويل:</u>

<u>هناك عدة أقوال للتفريق بينهما، نختار منها ما يلي:</u>

1-قال أبو عبيد وطائفة من علماء السلف: التفسير والتأويل بمعنى واحد، فهما مترادفان.

2-قال الراغب الأصفهاني: التفسير أعمّ من التأويل، وهو يستخدم في الألفاظ وفي بيان غريبها.

بينما التأويل يستخدم في المعاني والجُمَل.

3-قال الماتريدي: التفسير القطع على أن المراد من اللفظ هذا، بينما التأويل ترجيح أحد المحتملات بدون قطع.

4- قيل: إن التفسير ما يتعلَّق بالرواية، بينما التأويل ما يتعلَّق بالدراية.

وهذا الذي رجَّحه المتأخرون مراعاة للمعنى اللغوي للكلمتين، فالتفسير هو الكشف والبيان عن مراد الله، ولا يتم هذا إلا بنقل صحيح عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

بينما التأويل: ترجيح أمر على أمر لوجود ما يرجّح، فهو يعتمد على الاجتهاد والدراية.

المحاضَرَةُ الثالثة

نشأة علم التفسير وتطوُّره إلى عصر التدوين

عَناصِرُ المحاضَرَةِ الثالثة:

سنتكلَّم في هذه المحاضرة بمشيئة الله تعالى عن العناصر التالية:

أولًا: فهْم النبي -صلى الله عليه وسلم- للقرآن.

ثانيًا: مصادر التفسير في العصر الأول.

ثالثًا: هل فسَّر الرسول -صلى الله عليه وسلم- القرآن كله ؟

<u>أولًا: فهْم النبي -صلى الله عليه وسلم- للقرآن:</u>

نزل القرآن الكريم بلسان العرب جريا على سنة الله عز وجل: ((وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ)).

وقد تكفل الله عز وجل لنبيه الكريم بحفظ القرآن وبيان معانيه له، ليقوم النبي بدوره بإبلاغ ذلك إلى أمته:

قال تعالى: ((إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ))

والأدلة من القرآن الكريم الدالة على أن مهمة النبي صلى الله عليه وسلم تفسير القرآن كثيرة؛ منها:

قوله تعالى: ((وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)).

وقوله تعالى: ((وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)).

<u>تفاوُت الصحابة في فهم القرآن الكريم:</u>

مع أن القرآن أُنزل بلسان العرب؛ وكان الصحابة عربا بالسليقة؛ إلا أنهم كانوا يتفاوتون في فهم معاني القرآن الكريم، وسبب ذلك:

1-تفاوتهم في القوة العقلية.

2-تفاوتهم في معرفة ما أحاط بالقرآن من ظروف ومناسبات.

3- تفاوتهم في معرفة معاني المفردات.

مثال: اختلف الصحابة في معنى كلمة (تخوف) في قول الله عز وجل: ((أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ))، حتى جاء رجل من هذيل وقال لهم: إن التخوف التنقص.

مثال آخر: قال ابن عباس: كنت لا أدري معنى ((فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ)) حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها، والآخر يقول: أنا ابتدأتها.

<u>ثانيًا: مصادر التفسير في العصر الأول:</u>

أ-المصدر الأول: القرآن الكريم:

أوجه تفسير القرآن للقرآن:

1-شرح ما جاء موجزا في القرآن في مواضع أخرى بإسهاب.

مثل: قصة آدم وإبليس، وقصة موسى وفرعون، جاءت في مواضع مختصرة وفي مواضع أخرى مطولة.

2-حمْل المجمَل على المبين ليفسَّر به:

مثل: تفسير المجمل في قوله تعالى: ((فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ)) بقوله تعالى: ((قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ))

وتفسير قوله تعالى: ((أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ)) بقوله تعالى: ((حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ..))الآية.

3-حمل المطلق على المقيد، والعام على الخاص:

مثال حمْل العام على الخاص: نفْي الخلة والشفاعة على جهة العموم ((يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ))، وقد استثنى الله خلَّة المتقين فقال: ((الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ)).

4-الجمع بين ما يتوهَّم أنه مختلف:

كخلْق آدم من تراب في بعض الآيات، ومن طين في غيرها، ومن حمأ مسنون ومن صلصال، فإن هذا ذِكْر للأطوار التي مرَّ بها آدم من مبدأ خلقه إلى نفخ الروح فيه.

5-حمْل بعض القراءات على بعضها:

مثل قوله تعالى: ((إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ)) فُسِّر في القراءة الثانية(فامضوا إلى ذكر الله)

<u>القراءات التفسيرية:</u>

القراءات التي فيها زيادة هي من قبيل التفسير، ولذلك سمَّاها أبو عبيد القاسم بن سلام وغيره بـ (القراءات التفسيرية).

مثال: قول الله عز وجل ((حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى))، فقد كانت أم المؤمنين عائشة تزيد هنا (صلاة العصر)، فهذه رواها بعض الناس على أنها قراءة، وهي في الحقيقة قراءة تفسيرية.

أهمية القراءات التفسيرية:

لا شكَّ أن القراءات مهمة ومتعلقة بالتفسير تعلقا قويا، لدرجة أن بعض العلماء عدَّ القراءات من علوم التفسير.

ومما يؤيد هذا ما روي عن مجاهد أنه قال: لو كنت قرأت قراءة ابن مسعود قبل أن أسأل ابن عباس ما احتجت أن أسأله عن كثير مما سألته.

<u>ب-المصدر الثاني: السنة النبوية:</u>

كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يفسر القرآن لأصحابه بحسب حاجتهم له، وقد روى هذا القدر علماء الحديث، فلا تكاد تجد كتابا في السنة إلا وفيه باب خاص بالتفسير.

مثل: صحيح البخاري، فيه كتاب التفسير وكتاب فضائل القرآن.

ومثل: سنن أبي داود، أفرد كتابا سماه (كتاب القراءات).

ومثل: جامع الترمذي، أفرد للتفسير بابًا خاصًا.

<u>أمثلة على تفسير السنة للقرآن:</u>

قال النبي -صلى الله عليه وسلم- في تفسير المغضوب عليهم والضالين: (المغضوب عليهم هم اليهود، والضالين هم النصارى).

وقال مُفسِّرًا (القوة) في قوله تعالى ((وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ)): (ألا إن القوة الرمي)

وقال عن يوم الحج الأكبر: (هو يوم النحر).

وقال عن الكوثر: (نهر أعطانيه الله في الجنة).

ثالثًا: هل فسَّر الرسول -صلى الله عليه وسلم- القرآن كله ؟:

<u>اختلف أهل العلم في ذلك على قولين:</u>

أ-بعضهم قال إن النبي -صلى الله عليه وسلم- بيَّن كل شيء استجابة لأمر الله عز وجل له عندما قال: ((وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)).

ب-وبعضهم قال إن النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يبين إلا القليل، واستدلوا بقول عائشة -رضي الله عنها-: ما كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يفسِّر شيئًا من القرآن إلا آيًا بعدد؛ علَّمه إياهن جبريل.

والصحيح في هذه المسألة: أن كلا القولين غلو، وذلك لأن التفسير على أربعة أنواع:

وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يُعذَر أحد بجهله، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله.

وبَدَهي أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يفسِّر لهم ما يرجع بفهمه إلى كلام العرب؛ لعدم حاجتهم إليه، فَهُمْ عرب أقحاح.

ولم يفسر لهم ما لا يعذر أحد بجهله، لأنه لا يخفى على أحد.

ولم يفسر لهم ما لا يعلمه إلا الله من المتشابه أو الأمور الغيبية.

وبقي النوع الرابع، وهو الذي بيَّنه النبي، وأوضح للصحابة ما يحتاجون إليه من هذا النوع.

المحاضَرَةُ الرابعة

مصادر التفسير في عصر الصحابة

عَناصِرُ المحاضَرَةِ الرابعة:

سنتكلَّم في هذه المحاضرة بمشيئة الله تعالى عن العناصر التالية:

أولًا: أوجه بيان السنة للقرآن.

ثانيًا: من مصادر التفسير الاجتهاد وقوة الاستنباط.

ثالثًا: الرجوع إلى أخبار أهل الكتاب.

أولًا: أوجه بيان السنة للقرآن:

أ- بيان المجمل في القرآن:

مثال: بيان النبي -صلى الله عليه وسلم- عدد الركعات للصلوات المختلفة ومواقيتها وكيفيتها، وكذلك بيانه لمناسك الحج، لقوله: (خذوا عني مناسككم).

قال الإمام الشافعي: كل ما فعله النبي -صلى الله عليه وسلم- أو قاله فهو مما فهمه من القرآن الكريم.

وقد روي أن رجلًا قال لعمران بن حصين: دعنا من السنة وحدثنا عن القرآن، فغضب عمران وقال له: إنك رجل أحمق، أتجد في القرآن أن الظهر أربع ركعات؟، ثم عدَّد عليه الصلاة والزكاة ثم قال: أتجد هذا في كتاب الله مفسرًا، إن كتاب الله تعالى أبهم هذا وإن السنة تفسِّره.

ولهذا كان بعض السلف يقول: السنة قاضية على القرآن، أي: مبينة وشارحة له.

وقال صلى الله عليه وسلم: (ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه).

ب- توضيح المشكل:

مثال: لما نزلت الآية: ((وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ)) وضع عدي بن حاتم -رضي الله عنه- خيطين تحت وسادته، أبيض وأسود، وبقي يأكل وينظر إلى الخيطين حتى كادت

الشمس تطلع، فلما ذهب إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- بيَّن له أن المقصود بياض النهار وسواد الليل، وأنزل الله قوله تعالى: ((مِنَ الْفَجْرِ)).

ج- تخصيص العام:

مثال: تخصيص الظلم في قوله تعالى: ((الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ))، لما سأل الصحابةُ النبيَ وقالوا: أينا لم يلبس إيمانه بظلم؟، فقال لهم: ليس بذلك؛ إنما هو الشرك، أما سمعتم قوله تعالى: ((إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)).

د- تقييد المطلق:

مثال: أمر الله بقطع يد السارق بقوله تعالى: ((وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا))، وبيَّنتْ السنة أن القطع مقيَّد باليد اليمنى، ومن الكف.

ه- بيان معنى لفظ أو متعلقه:

مثال: بيَّن النبي -صلى الله عليه وسلم- أن المغضوب عليهم هم اليهود، وأن الضالين هم النصارى.

وبيَّن معنى قوله تعالى: ((وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ))، أي: مبرَّأة من الحيض والبزاق والنخامة.

وبيَّن معنى قوله تعالى: ((وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ)) فقال: دخلوا يزحفون على أستاههم، فبدَّلوا وقالوا: حِطَّة حَبَّة في شَعَرَةٍ.

<u>ل- بيان أحكام زائدة على ما جاء في القرآن:</u>

مثال: زكاة الفطر، وتحريم نكاح المرأة على عمتها وخالتها، ورجم الزاني المحصن، وغير ذلك كثير مما جاء في كتب الفقه والحديث.

<u>و- بيان النسخ:</u>

حيث بيَّن النبي -صلى الله عليه وسلم- أن آية كذا نُسخَت أو رُفِعَتْ ونحو ذلك.

فكان يبين للصحابة المنسوخ من الثابت المحكم.

<u>ي- بيان التأكيد:</u>

مثال: قال الله عز وجل: ((وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ))، وقال صلى الله عليه وسلم: (لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس منه).

قال تعالى: ((وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ))، وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (أوصيكم بالنساء خيرا)

ثانيًا: من مصادر التفسير الاجتهاد وقوة الاستنباط:

<u>كثير من الصحابة كانوا يفسرون القرآن باجتهاداتهم مستعينين بما يلي:</u>

<u>1-معرفة أوضاع اللغة.</u>

<u>2-معرفة عادات العرب.</u>

<u>3-معرفة أحوال اليهود والنصارى في جزيرة العرب.</u>

<u>4-قوة الفهم وسعة الإدراك.</u>

<u>وكان الصحابة يتفاوتون في فهم معاني القرآن الكريم، وهذه بعض الأمثلة:</u>

قال ابن عباس –رضي الله عنه-: إن الشُّرَّاب كانوا يُضربون على عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم-

بالأيدي والنعال والعصي حتى توفي رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فقال أبو بكر: لو فرضنا لهم حدًّا، فتوخى نحو ما كانوا يضربون في عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فكان أبو بكر يجلدهم أربعين حتى توفي، ثم كان عمر من بعده يجلدهم كذلك أربعين.

حتى أُتِي برجل من المهاجرين الأولين وهو قدامة بن مظعون وقد شرب فأمر به أن يجلد فقال: لمَ تجلدني؟، بيني وبينك كتاب الله، قال: وفي أي كتاب الله تجد أن لا أجلدك؟، قال: إن الله تعالى يقول في كتابه: ((لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا))، فأنا من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وأحسنوا، شهدتُ مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بدرًا وأُحدًا والخندق والمشاهد، فقال عمر: ألا تردُّون عليه؟.

فقال ابن عباس: هؤلاء الآيات نزلت عذرًا للماضين وحجة على الباقين، عذرًا للماضين لأنهم لقوا الله قبل أن يحّرم عليهم الخمر، وحجة على الباقين لأن الله يقول: ((إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)) حتى بلغ الآية الأخرى، فإن كان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وأحسنوا فإن الله نهى عن شرب الخمر.

مثال آخر:

أخرج البخاري عن ابن عباس قال: كان عمر يُدخلني مع أشياخ بدر، فقال له عبد الرحمن بن عوف: لمَ تدخِل هذا الفتى معنا ولنا أبناء مثله، فقال: إنه ممن قد علمتم، فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم وما رأيته دعاني يومئذ إلا ليريهم مني، فقال: ما تقولون في قوله تعالى: ((إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ)) حتى ختم السورة، فقال بعضهم: أمرنا الله أن نحمده ونستغفره إذا جاء نصر الله وفتح علينا، وقال بعضهم: لا ندري، وبعضهم لم يقل شيئًا، فقال لي يا ابن عباس: أكذاك تقول؟، قلت: لا، قال: فما تقول؟، قلت: هو أَجَل رسول الله، والفتح فتح مكة، فذلك علامة أجلك، فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابًا، فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تعلم

<u>ثالثًا: الرجوع إلى أخبار أهل الكتاب:</u>

أجاز لنا الرسول -صلى الله عليه وسلم- أن نحدِّث عن بني إسرائيل فقال: (حدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج).

وثمت أشياء يتفق فيها القرآن الكريم مع التوراة الحقيقية، مثل: قصص الأنبياء وما يتعلق بالأمم الغابرة ونحو ذلك.

وقد سمُّوا هذه الأخبار: الإسرائيليات.

لكن لهذا المصدر ضوابط سنتطرق إليها في محاضرة مستقلة بمشيئة الله.

المحاضَرَةُ الخامسة

المفسرون من الصحابة وقيمة التفسير المروي عنهم

عَناصِرُ المحاضَرَةِ الخامسة:

سنتكلَّم في هذه المحاضرة بمشيئة الله تعالى عن العناصر التالية:

أولًا: أشهر المفسرين من الصحابة.

ثانيًا: عبد الله بن عباس.

ثالثًا: عبد الله بن مسعود.

أولًا: أشهر المفسرين من الصحابة:

اشتهر بالتفسير من الصحابة جماعة منهم، ذكرهم السيوطي في الإتقان وهم: الخلفاء الأربعة وابن مسعود وابن عباس وأبي بن كعب وزيد بن ثابت وأبو موسى الأشعري وعبد الله بن الزبير.

وهناك مَنْ تكلَّم في التفسير غيرهم، كأنس بن مالك وأبي هريرة وابن عمر وجابر وعبد الله بن عمرو وعائشة -رضي الله عنهم أجمعين-

وتجتمع في الصحابة صفات تُميّزهم عن غيرهم، منها:

قوتهم في اللغة العربية التي هي لغة القرآن.

مخالطتهم للنبي -صلى الله عليه وسلم- ومعرفتهم ملابسات وأسباب النزول.

اكتمال آلة الاجتهاد فيهم.

إلا أن أشهر المفسرين منهم ممَن نُقل تفسيره ورواه عنه تلاميذه أربعة؛ هم:

عبدالله بن عباس، وعبد الله بن مسعود، وعلي بن أبي طالب، وأُبي بن كعب -رضي الله عنهم أجمعين-

عبد الله بن عباس:

هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم، ابن عم النبي -صلى الله عليه وسلم-، وأمه لبابة بنت الحارث الهلالية، أختها أم المؤمنين ميمونة، وهي خالة ابن عباس، وكان يبيت عندها كثيرًا.

ولد والنبي -صلى الله عليه وسلم- مُحَاصر في شعب أبي طالب، وتوفي رسول الله وله من العمر قرابة 13 عام أو أكثر، ولازم كبار الصحابة لطلب العلم، توفي بالطائف سنة 68 ه، وله من العمر سبعون عامًا.

مبلغه من العلم:

أخذ العلم عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ثم عن كبار أصحابه، حتى صار يلقَّب بحبر الأمة وترجمان القرآن.

كان عمر -رضي الله عنه- يُدخله مع أشياخ بدر لمشاورتهم في الأمور المعضلة.

قال ابن عمر: ابن عباس أعلم أمة محمد بما نزل على محمد.

أسباب نبوغه:

أ-دعاء النبي -صلى الله عليه وسلم- له، حيث قال: (اللهم فقِّهه في الدين وعلِّمه التأويل).

وفي لفظ: (اللهم علِّمه الكتاب والحكمة)

ب-نشأته في بيت النبوة، وملازمته للنبي -صلى الله عليه وسلم-.

ج-ملازمته لكبار الصحابة وعلمائهم، قال ابن عباس: وجدت عامة حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عند الأنصار، فإن كنت لآتي الرجل فأجده نائمًا لو شئتُ أن يوقظ لي لأُوقِظ، فأجلس على بابه تسفي على وجهي الريح حتى يستيقظ متى استيقظ، وأسأله عما أريد ثم أنصرف.

د-حفظه للغة العربية ومعرفته بأشعار العرب.

ه-بلوغه رتبة الاجتهاد وشجاعته في بيان الحق.

سأل رجل ابن عمر عن قوله تعالى: ((أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا)) فقال اذهب إلى ابن عباس، فجاء ابن عباس فقال له: كانت السماوات رتقا لا تمطر، والأرض رتقا لا تنبت، ففتق هذه بالمطر وهذه بالنبات، فقال ابن عمر: قد كنت أقول ما تعجبني جرأة ابن عباس على التفسير، فالآن علمتُ أنه قد أُوتي علمًا.

<u>طرق الرواية عن ابن عباس:</u>

كان لابن عباس تلاميذ يرافقونه ويأخذون عنه العلم، وقد رووا التفسير عنه، وهذه أشهر الأسانيد إلى ابن عباس:

1-طريق معاوية بن صالح عن على بن أبي طلحة عن ابن عباس.

وهي طريق جيدة، قال عنها الإمام أحمد: بمصر صحيفة في التفسير رواها علي بن أبي طلحة، لو رحل رجل فيها إلى مصر ما كان كثيرا.

2-قيس بن مسلم الكوفي عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس.

وهي طريق حسنة، يخرِّج منها الحاكم في المستدرك.

3-طريق ابن إسحاق -صاحب السيرة- عن محمد بن أبي محمد -مولى آل زيد بن ثابت- عن عكرمة عن ابن عباس.

وهي موجودة في سيرة ابن إسحاق، وقد قال بعض أهل العلم أن إسنادها حسن.

4-طريق إسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير عن أبي مالك أو أبي صالح عن ابن عباس.

وهو طريق ضعيف، يخرِّج منه ابن جرير الطبري وغيره.

5-طريق محمد بن مروان السدي الصغير عن محمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.

وهذه أضعف الطرق وأوهاها.

6-طريق عطية العوفي عن ابن عباس.

وهو ضعيف، يخرِّج منه ابن جرير الطبري.

<u>عبد الله بن مسعود:</u>

هو عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي، أمه يقال لها: أم عبد، ولذلك عُرِف بابن أم عبد.

هو من السابقين الأولين، ومن أفاضل الصحابة، شهد بدرًا والمعارك كلها مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

مات سنة 32 ه، ودُفن بالبقيع.

<u>مبلغه من العلم:</u>

كان من كبار العلماء الفقهاء القراء، وقد امتدحه النبي -صلى الله عليه وسلم- بقوله: (مَنْ سرَّه أن يقرأ القرآن رطبًا كما أُنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد).

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص: ما زلتُ أحب ابن مسعود منذ سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: (خذوا القرآن عن أربع، فبدأ به).

وقد لازم ابن مسعود الرسول وتعلَّم منه، حتى بلغ من العلم مبلغًا عظيمًا.

روي أن ابن مسعود قال: أخذتُ من فيِّ رسول الله سبعين آية، والله الذي لا إله إلا هو ما من آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيم نزلت وأين نزلت، ولو أعلم أحدًا أعلَمَ مني بكتاب الله تناله المطايا لأتيتُه.

<u>طرق الرواية عن ابن مسعود:</u>

1- طريق الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن ابن مسعود.

وهي من أصح الطرق، خرَّج منها البخاري وغيره.

2-طريق الأعمش عن أبي وائل عن ابن مسعود.

وهي طريق صحيحة، يخرِّج منها البخاري.

3-طريق مجاهد عن أبي معمر عن ابن مسعود، وهي مثل سابقتيها.

4-طريق السدي الكبير عن مرَّة الطيب عن ابن مسعود.

وهي ضعيفة من أجل السدي، ويخرِّج منها ابن جرير الطبري في تفسيره.

5- طريق أبي روْق عن الضحاك عن ابن مسعود.

وهي ضعيفة، لأن الضحاك لم يلقَ ابن مسعود، وأبو روق ضعيف.

المحاضَرَةُ السادسة

المفسرون من الصحابة وقيمة التفسير المروي عنهم

عَناصِرُ المحاضَرَةِ السادسة:

أولًا: مدرسة علي بن أبي طالب في التفسير.

ثانيًا: مدرسة أُبَيّ بن كعب في التفسير.

ثالثًا: قيمة التفسير المروي عن الصحابة.

رابعًا: مميزات التفسير في هذه المرحلة.

أولًا: مدرسة علي بن أبي طالب في التفسير.

هو أبو الحسن علي بن أبي طالب بن عبدالمطلب، ابن عم رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وزوج ابنته فاطمة -رضي الله عنهما-.
شهد المشاهد كلها مع النبي -صلى الله عليه وسلم- إلا تبوك؛ لأن النبي خلَّفه على أهل المدينة، ومواقفه مع النبي -صلى الله عليه وسلم- مشهورة، وهو رابع الخلفاء الراشدين، وأول مَن أسلم من الصبيان.

تُوفِّي سنة 40 هـ، قتله عبد الرحمن بن ملجم المرادي، وكان عمره عند مقتله 63 سنة، وقيل في عمره غير ذلك.

مبلغه من العلم:

نهل علي بن أبي طالب من النبي -صلى الله عليه وسلم- في مكة والمدينة، واشتهر بحسن القضاء، فقد دعا له النبي -صلى الله عليه وسلم- لما بعثه قاضيًا إلى اليمن بقوله (اللهم ثبت لسانه واهد قلبه)، قال علي: فما شككت في قضاء قط، ولذلك كان الصحابة يقولون: قضية ولا أبا حسن لها.

وقد لازمه جمع من التابعين الكبار فتتلمذوا على يديه حتى صاروا فقهاء المسلمين، بل إن ابن عباس كان يأخذ عنه، حيث قال: ما أخذتُ من تفسير القرآن فعن علي بن أبي طالب.

وقال علي: والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيمَ نزلت وأين نزلت، وإن ربي وهب لي قلبًا عقولًا ولسانًا سئوولًا.

وخطب مرة فقال: سلوني سلوني، فوالله لا تسالوني عن شيء إلا أخبرتكم، وسلوني عن كتاب الله فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليلٍ نزلت أم بنهار، أم في سهل أم في جبل.

الرواية عن علي بن أبي طالب:

ابتُلي سيدنا علي برواة كذبوا عليه ونسبوا إليه ما لم يصح، وبالغوا فيه حتى ادَّعوا له ما لا يصح، ولذلك قام العلماء بنقد الروايات الصحيحة وتمييزها عما سواها.

إلا أن بعض أصحاب ابن مسعود لما توفي سنة 32 هـ انتقلوا إلى علي بن أبي طالب، فلازموه وأخذوا عنه العلم بوصية من ابن مسعود، وهؤلاء هم أوثق الناس بالرواية عنه، وهم الذين نشروا علمه الصحيح.

وهذه أهم طرق التفسير إلى علي بن أبي طالب:

1-هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن عبيدة السلماني عن علي بن أبي طالب.يخرِّج منها البخاري ومسلم.

2-ابن أبي الحسين عن أبي الطفيل عن علي.

يخرِّج منها البخاري وغيره، فهي صحيحة.

3-الزهري عن زين العابدين عن أبيه عن جده.

ثانيًا: مدرسة أُبَيّ بن كعب في التفسير:

هو أبو المنذر أبي بن كعب بن قيس الأنصاري، شهد العقبة وبدرًا، وهو أول كتَّاب الوحي في المدينة، وكان عمر يقول: أُبيّ سيدنا، اختُلف في وفاته، والأكثر على أنه تُوفي في خلافة عمر.

هذا وقد أخطأ بعض الناس فادعى أن أُبي بن كعب كان حبرًا من أحبار اليهود، ولا يخفى بطلان هذا، وإنما الذي كان حبرا هو كعب الأحبار، فقد اختلطت الأسماء على من قال هذا.

مبلغه من العلم:

جاء في الحديث: (وأقرؤهم أبي بن كعب).

وثبت أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال له: (إن الله أمرني أن أقرأ عليك ((لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا)) فقال: وسمَّاني الله لك؟، قال: نعم، فبكى أُبي).

وزكَّاه النبي -صلى الله عليه وسلم- لما سأله: أي القرآن أعظم؟، فقال: آية الكرسي، فقال: ليهنِك العلم أبا المنذر.

وهو أحد الذين جمعوا القرآن على عهد النبي -صلى الله عليه وسلم-.

قال أنس: جمع القرآن على عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- أربعة كلهم من الأنصار، أُبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد -أحد عمومتي.

وقد كان القرآن يملأ حياة أبي ويشغل قلبه، قَالَ رَجُلٌ لأُبَيِّ بنِ كَعْبٍ: أَوْصِنِي، قَالَ: اتَّخِذْ كِتَابَ اللهِ إِمَاماً، وَارْضَ بِهِ قَاضِياً وَحَكَماً، فَإِنَّهُ الَّذِي اسْتَخْلَفَ فِيْكُم رَسُوْلُكُم، شَفِيْعٌ مُطَاعٌ، وَشَاهِدٌ لاَ يُتَّهَمُ، فِيْهِ ذِكْرُكُم وَذِكْرُ مَنْ قَبْلَكُم، وَحكمُ مَا بَيْنَكُم، وَخَبَرُكُم، وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُم.

الرواية عن أُبي بن كعب:

من أشهر تلاميذ أُبي بن كعب : زرّ بن حبيش، وأبو العالية رفيع بن مهران، والأسانيد الموصولة إلى أُبي لا تتعداهما، وهذه أهم الأسانيد:

1-طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أُبي.

وهي نسخة كبيرة في التفسير، حسنة الإسناد.

2-وكيع عن سفيان عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الطفيل بن أبي بن كعب عن أبيه.

وهي طريق لا بأس بها.

3- زر بن حبيش عن أُبي بن كعب، وهو صحيح إذا كان الراوي عن زرّ ثقة.

ثالثًا: قيمة التفسير المروي عن الصحابة:

أ-تفسير الصحابي له حكم المرفوع إذا كان مما يرجع إلى سبب النزول، وكذلك ما ليس للرأي فيه مجال.

مثال: ما رواه البخاري عن عبد الله بن الزبير -رضي الله عنهما- أنه حدَّثه أن رجلا من الأنصار خاصم الزبير عند النبي -صلى الله عليه وسلم- في شراج الحرة التي يسقون بها النخل، فقال الأنصاري سرح الماء يمر، فأبى عليه، فاختصما عند النبي -صلى الله عليه وسلم-، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- للزبير: اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك، فغضب الأنصاري فقال: أَنْ كان ابن عمتك؟، فتلوَّن وجه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ثم قال: اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر.

فقال الزبير: والله إني لأحسب هذه الآية نزلت في ذلك: ((فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ)).

مثال آخر: قال جابر -رضي الله عنه-: كانت اليهود تقول –في المرأة- إذا جامعها من ورائها جاء الولد أحول، فنزلت: ((نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ)).

ب-ما حُكِم عليه أنه من قبيل المرفوع فلا يجوز رده اتفاقا، بل يأخذه المفسر ولا يعدل عنه.

ج-ما حُكِم عليه بالوقف؛ اختلف فيه العلماء:

بعضهم يرى أن تفسير الصحابي اجتهاد غير ملزم.

وبعضهم يرى وجوب الأخذ به والرجوع إليه، فلعلهم سمعوه من النبي -صلى الله عليه وسلم.

قال الزركشي في البرهان: (واعلم أن القرآن قسمان، أحدهما ورد تفسيره بالنقل عمن يعتبر تفسيره، وقسم لم يرد، والأول ثلاثة أنواع، إما أن يرد التفسير عن النبي -صلى الله عيه وسلم- أو عن الصحابة أو عن رؤوس التابعين، فالأول يُبحث فيه عن صحة السند، والثاني يُنظر في تفسير الصحابي فإن فسَّره من حيث اللغة فهم أهل اللسان، فلا شك في اعتمادهم، وإن فسَّره بما شاهده من الأسباب والقرائن فلا شك فيه، وحينئذ إن تعارضت أقوال جماعة من الصحابة فإن أمكن الجمع فذاك، وإن تعذَّر قدِّم ابن عباس لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- بشَّره بذلك حيث قال: اللهم علِّمه التأويل.

وقد رجَّح الشافعي قول زيد في الفرائض، لقوله -صلى الله عليه وسلم-: أفرضكم زيد، فإن تعذَّر الجمع جاز للمقلد أن يأخذ بأيها شاء).

<u>رابعًا: مميزات التفسير في هذه المرحلة:</u>

أ- لم يُفسَّر القرآن جميعه، بل فسِّر منه ما يحتاج الناس إليه.

ب- قلة الاختلاف بينهم في فهم المعاني.

ج-الاكتفاء بالمعنى الإجمالي، فمثلًا: يكتفون من قوله تعالى: ((وَفَاكِهَةً وَأَبًّا)) بفهْم أنه تعداد للنعم، ولا يتطلَّعون لمعرفة ما هو (الأبُّ).

د-الاقتصار على توضيح المعنى اللغوي الذي فهموه بأخصر لفظ.

مثال: في قوله تعالى: ((غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ)) قالوا: غير متعرِّض لمعصية.

المحاضَرَةُ السابعة

التفسير في عصر التابعين

عَناصِرُ المحاضَرَةِ السابعة: أولًا: ابتداء هذه المرحلة.

ثانيًا: مصادر التفسير في عصر التابعين.

ثالثًا: مدارس التفسير في عصر التابعين

<u>أولًا: ابتداء هذه المرحلة:</u>

تنتهي المرحلة الأولى للتفسير بانصرام عهد الصحابة، وتبدأ المرحلة الثانية للتفسير بعصر التابعين.

<u>ثانيًا: مصادر التفسير في عصر التابعين:</u>

أ-فهمهم لكتاب الله تعالى.

ب-الروايات المأثورة.

ج-الاستفادة من أخبار بعض الأحبار الذين أسلموا.

<u>ثالثًا: مدارس التفسير في عصر التابعين:</u>

ثلاث مدارس، مدرسة التفسير بمكة، مدرسة التفسير بالمدينة، مدرسة التفسير بالعراق.

<u>أ-مدرسة التفسير بمكة:</u>

أستاذها هو ابن عباس -رضي الله عنه-.

<u>أشهر رجالها:</u>

1-سعيد بن جبير:

هو أبو محمد سعيد بن جبير الأسدي، حبشي الأصل، قتله الحجاج في شعبان سنة 95 هـ بعد مناظرة حصلت بينهما.

قال الإمام أحمد: مات سعيد بن جبير يوم مات وما على ظهر الأرض أحد إلا وهو محتاج إلى علمه.

<u>علمه بالتفسير:</u>

كان سعيد بن جبير من كبار العلماء بالفقه والحديث والتفسير، لازم ابن عباس كثيرا، وقد جمع القراءات عن الصحابة الثقات، وكان يقرأ بها في رمضان، وكان هو المقدَّم في التفسير من بين أصحاب ابن عباس.

<u>2-مجاهد بن جبر:</u>

هو مجاهد بن جبر المكي أبو الحجاج المخزومي، ولد سنة 21 بمكة، ومات سنة 104 وهو ساجد.

مكانته في التفسير:

كان مجاهد من أوثق أصحاب ابن عباس، وأقلهم رواية عنه في التفسير.

جاء عنه أنه قال: عرضتُ القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات، أقف عند كل آية أساله فيم نزلت وكيف كانت؟.

وقال ابن أبي مليكة: رأيت مجاهدًا سأل ابن عباس عن تفسير القرآن ومعه ألواحه، فقال ابن عباس: اكتب، حتى سأله عن التفسير كله.

وقال الثوري: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به.

لكنه كان يسأل أهل الكتاب كثيرا، ويروي عنهم، ولذلك ربما خالف في تفسيره

قال ابن مجاهد جاء رجل إلى أبي فقال: أنت الذي تفسر القرآن برأيك؟، فبكى أبي وقال: إني إذاً لجريء، لقد حملتُ التفسير عن بضعة عشر رجلا من أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم-.

3-عكرمة:

هو أبو عبد الله عكرمة البربري مولى ابن عباس، وهو من الثقات الذين خرَّج لهم البخاري في صحيحه.

توفي سنة 104 هـ.

مكانته في العلم:

أخذ العلم عن سيده ابن عباس، وكان ابن عباس يوثقه بالقيد كي لا يهرب وهو صغير، ويعلمه العلم، فما كبر حتى صار للناس إمامًا،

وصار له فهمٌ في القرآن الكريم، لدرجة أن ابن عباس سئل عن قوله تعالى: ((لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا))، قال ابن عباس: لا أدري أنجا هؤلاء أم هلكوا؟، قال عكرمة: فما زلت أبيّن له حتى عرف أنهم نجوا، فكساني حلَّة.

ب-مدرسة التفسير بالمدينة:

قامت على يد أُبي بن كعب وزيد بن ثابت وأبي هريرة والخلفاء الراشدين، وأمهات المؤمنين؛ لا سيما عائشة -رضي الله عنهم أجمعين-.

أشهر رجالها:

أبو العالية:

هو رفيع بن مهران الرياحي، أدرك الجاهلية، وأسلم بعد وفاة النبي بسنتين، وتوفي سنة 90هـ

مبلغه من العلم:

كان ثقة اتفق عليه العلماء، قال: قرأت القرآن بعد وفاة نبيكم بعشر سنين.

وهو يروي التفسير عن أُبي بن كعب، وهي نسخة من التفسير رواها عنه الربيع بن أنس.

ج-مدرسة التفسير بالعراق:

قامت على يد ابن مسعود وعلي بن أبي طالب وأبي موسى الأشعري وسلمان الفارسي وعمار -رضي الله عنهم أجمعين-.

أشهر رجالها:

1-مسروق:

هو مسروق بن الأجدع الهمداني، روى عن الخلفاء الأربعة، وهو من كبار العلماء، قال بعض العلماء: أفضل التابعين مسروق، مات سنة 63 هـ.

2-الحسن البصري:

هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن البصري، أحد الأئمة المشهورين، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر، ومات سنة 110 هـ.

وقد استفاد من الصحابة والتابعين، والروايات التفسيرية عنه في تفسير ابن جرير وغيره.

3-قتادة بن دعامة السدوسي:

وهو من صغار التابعين، عربي الأصل، فصيح اللسان، وكانت وفاته سنة 117 هـ.

<u>قيمة التفسير المأثور عن التابعين:</u>

<u>اختلف العلماء في الرجوع إلى تفسير التابعين والأخذ منه:</u>

قال قوم: ليس بحجة، أي أنه ليس بملزم، وهذا القول رواية عن الإمام أحمد، وحُكِي عن شعبة وابن عقيل الحنبلي.

حجتهم: أن التابعين ليس لهم سماع من النبي -صلى الله عليه وسلم-، ولم يشاهدوا القرائن والأحوال التي نزل القرآن عليها، فيجوز عليهم الخطأ، وعدالة التابعين ليست منصوصًا عليها كعدالة الصحابة.

ولذلك قال الإمام أبو حنيفة: ما جاء عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فعلى العين والرأس، وما جاء عن الصحابة تخيَّرنا، وما جاء عن التابعين فهم رجال ونحن رجال.

القول الثاني: أن تفسير التابعين يؤخذ به، وهو قول غالب المفسرين، لأنهم تلقوا غالب التفسير عن الصحابة.

قال ابن تيمية: (وقال شعبة بن الحجاج وغيره أقوال التابعين في الفروع ليست حجة فكيف تكون حجة في التفسير؟، يعني أنها لا تكون حجة على غيرهم ممن خالفهم، وهذا صحيح، أما إذا أجمعوا على الشيء فلا يُرتاب في كونه حجة، فإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض، ولا على مَن بعدهم، ويُرجع في ذلك إلى لغة القرآن أو السنة أو عموم لغة العرب أو أقوال الصحابة في ذلك).

<u>سمات التفسير في هذه المرحلة:</u>**

أ-دخل في التفسير كثير من الإسرائيليات؛ لكثرة مَن دخل في الإسلام منهم.

ب-ظل التفسير محتفظًا بطابع التلقي والرواية.

ج-ظهرت في هذا العصر نواة الخلاف المذهبي.

د-كثر الخلاف بين التابعين في التفسير عما كان بين الصحابة -رضوان الله عليهم-

<u>أسباب الخلاف بين السلف في التفسير:</u>

<u>أ-اختلاف العبارة واتحاد المعنى:</u>

مثال: اختلفوا في تفسير ((الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ))، فبعضهم قال: هو القرآن، وبعضهم قال: هو السنة، وبعضهم قال: هو الإسلام، وهذا ما يسميه العلماء باختلاف التنوُّع.

ب-المشترك اللفظي:

مثال: لفظ ((قَسْوَرَةٍ)) يطلق على الصائد، وعلى الأسد.

ج- أن يكون في الآية قراءتان، فيفسر كل واحد حسب قراءة من هاتين القراءتين.

مثال: قراءة ((لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ)) و (لمستم النساء).

فبعضهم فسر الآية على الجماع، وهذا تفسير مترتب على قراءة (لامستم)

وبعضهم فسرها على الجس باليد، وهذا تفسير مترتب على قراءة (لمستم).

المحاضَرَةُ الثامنة

التفسير بالمأثور

عَناصِرُ المحاضَرَةِ الثامنة:

أولًا: المراحل التي مرَّ بها علم التفسير.

ثانيًا: التفسير بالمأثور.

ثالثًا: الوضع في التفسير.

رابعًا: الإسرائيليات.

أولًا: المراحل التي مرَّ بها علم التفسير:

المرحلة الأولى: الرواية:

وهي نقل التفسير عن طريق الرواية عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، وقد حصلت هذه المرحلة مع الصحابة والتابعين.

المرحلة الثانية: تدوين الحديث:

حيث دُوِّن التفسير على أنه باب من أبواب الحديث، فلم يُفرَد للتفسير تأليف خاص يتناوله آية آية، بل هو تفسير مروي عن الصحابة والتابعين.

ومن نماذج ذلك: ما ورد في مصنفات يزيد بن هارون (ت117)، وشعبة بن الحجاج (ت160)، وعبد الرزاق (ت211).

المرحلة الثالثة: انفصال علم التفسير عن علم الحديث:

حيث أَلَّف في التفسير جماعة من كبار العلماء كابن ماجة (273)، وابن جرير(310)، وابن أبي حاتم (327).

وتفاسيرهم كلها بالإسناد والنقل عن السابقين إلا ابن جرير الطبري؛ فإنه يناقش الأقوال ويصحِّح ويختار.

أوَّل مَنْ أَلَّف في التفسير:

لا نستطيع الجزم بأول مَنْ أَلَّف في التفسير، لكننا نجد في تهذيب التهذيب في ترجمة عطاء بن دينار الهذلي:

قال علي بن الحسن عن أحمد بن صالح عطاء بن دينار من ثقات المصريين، وتفسيره فيما يروي عن سعيد بن جبير صحيفة، وليست له دلالة على أنه سمع من سعيد بن جبير، وقال أبو حاتم: صالح الحديث إلا أن التفسير أخذه من الديوان، وكان عبد الملك بن مروان قد سأل سعيد بن جبير أن يكتب إليه بتفسير في الديوان، فكتب سعيد بهذا التفسير، فوجده عطاء بن دينار في الديوان فأخذه فأرسله عن سعيد بن جبير. ا.هـ

هذا النص يفيد أن سعيد بن جبير كتب تفسيرًا، وسعيد قتله الحجاج سنة 94 أو 95 هـ، فقد يدل هذا النص على أن أول مَن كتب في التفسير هو سعيد بن جبير.

المرحلة الرابعة: كثرة المصنفات في التفسير التي تتناول جميع آيات القرآن، ولكن لم تخرج عن إطار التفسير بالمأثور، حيث حصل اختصار للأسانيد، ونقل للأقوال دون تحقيق نسبتها إلى أصحابها، ومن هنا دخل الوضع إلى التفسير، والتبس فيه الصحيح بالباطل.

المرحلة الخامسة:

امتدت من الدولة العباسية إلى عصرنا هذا، حيث اختلط في هذه المرحلة تدوين التفسير بين الفهم العقلي والتفسير النقلي، وظهر ما يُسمَّى بـــ (التفسير بالرأي).

ثانيًا: التفسير بالمأثور:

تعريفه: يشمل التفسير بالمأثور ما جاء في القرآن نفسه؛ من البيان والتفصيل لبعض آياته، وما نُقِل عن الرسول -صلى الله عليه وسلم-، وما نُقل عن الصحابة والتابعين من كل ما هو بيان وتوضيح لمراد الله تعالى من نصوص كتابه الكريم.

قال شيخ الإسلام –رحمه الله-:

فإن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير؟.

فالجواب : أن أصح الطرق في ذلك أن يفسَّر القرآن بالقرآن، فما أُجمِل في مكان فإنه قد فُسِّر في موضع آخر، وما اختُصر في مكان فقد بُسِط في موضع آخر، فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة، فإنها شارحة للقرآن وموضحة له، والغرض أنك تطلب تفسير القرآن منه؛ فإن لم تجده فمن السنة، كما قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لمعاذ حين بعثه إلى اليمن: (بمَ تحكم؟، قال: بكتاب الله، قال: فإن لم تجد؟، قال: بسنة رسول الله، قال: فإن لم تجد؟، قال: أجتهد رأيي، قال: فضرب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في صدره، وقال: الحمد لله الذي وفَّق رسولَ رسولِ الله لما يرضي رسول الله)، وهذا الحديث في المسانيد والسنن بإسناد جيد.

وحينئذٍ إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة؛ فإنهم أدرى بذلك لمَا شاهدوه من القرآن والأحوال التي اختُصُّوا بها، ولمَا لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح؛

ا سيما علماؤهم وكبراؤهم، كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين مثل عبد الله بن مسعود ..... إلى أن قال: إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا وجدته عن الصحابة فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين؛ كمجاهد بن جبر فإنه كان آية في التفسير. ا.هـ كلام شيخ الإسلام –رحمه الله-

***أسباب الضعف في التفسير بالمأثور:**

لهذا الضعف أسباب؛ أهمها:

أ-كثرة الوضع فيه.

ب-دخول الإسرائيليات.

ج-حذف الأسانيد.

ثالثًا: الوضع في التفسير:

نشأ الوضع مع نشأة علم التفسير، لأن التفسير بدأ كجزء من مصنفات الحديث، والحديث فيه الصحيح والحسن والضعيف.

ويرجع الوضع إلى أسباب؛ أهمها أن الطوائف المخالفة لأهل السنة كانت تضع الأحاديث لتوافق هواها، وإذا أرادوا رواجه نسبوه لآل بيت رسول الله –صلى الله عليه وسلم- ليُقْبَل.

رابعًا: الإسرائيليات:

هي نسبةٌ لبني إسرائيل، ويُراد بها الروايات المنقولة عن أهل الكتاب من التوراة والإنجيل، والتي قد يذكرها بعض المفسرين في تفاسيرهم.

حكم روايتها:

ورد في حكم الرواية عن بني إسرائيل حديثان عن النبي -صلى الله عليه وسلم-.

الأول فيه الإذن في رواية هذه الإسرائيليات: حيث جاء في الحديث الصحيح: (بلِّغوا عني ولو آية، وحدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج).

والثاني فيه التوقُّف عن رواية الإسرائيليات: فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: لا تصدِّقوا أهل الكتاب ولا تكذِّبوهم، وقولوا ((آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا))الآية.

وقد فَهِم البعض أن في هذا الإذن المطلق في جواز الرواية عنهم، والصحيح أن الإسرائيليات على ثلاثة أنواع:

الأول: ما يوافق ما جاء في شرعنا، فهذا تجوز روايته قطعًا.

الثاني: ما يخالف ما جاء في شرعنا، كالقصص التي فيها الطعن في مقام الأنبياء، فهذه لا تجوز روايتها.

الثالث: ما سكت عنه الشرع، فنسكت عنه.

وكان عبد الله بن عمرو قد أصاب يوم اليرموك زاملتين من كُتب أهل الكتاب، فكان يحدِّث منهما بما فهمه من الحديث الوارد في الإذن في ذلك، ولكن هذه الروايات الإسرائيلية تُذكر للاستشهاد لا للاعتقاد.

وغالب ذلك مما لا فائدة فيه، كما يذكرونه في أسماء أصحاب الكهف، ولون كلبهم، ومن أي الشجر كانت عصا موسى؟، وأسماء الطيور التي أحياها الله لإبراهيم، إلى غير ذلك مما أبهمه الله في القرآن مما لا فائدة في تعيينه تعود على المكلفين في دنياهم ولا في دينهم، ولكن نقل الخلاف عنهم في ذلك جائز.

كما قال تعالى: ((سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا)).

فقد اشتملت هذه الآية الكريمة على الأدب في هذا المقام وتعليم ما ينبغي في مثل هذا، فإنه تعالى أخبر عنهم بثلاثة أقوال، ضعَّف القولين الأوَّلين، وسكت عن الثالث فدلَّ على صحته؛ إذ لو كان باطلًا لردَّه كما ردَّهما، ثم أرشد إلى أن الاطلاع على عدتهم لا طائل تحته، فيقال في مثل هذا: ((قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ))، فإنه ما يعلم بذلك إلا قليل من الناس ممن أطلعه الله عليه، ولهذا قال: ((فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا))، أي: لا تُجهِد نفسك فيما لا طائل تحته.

فهذا أحسن ما يكون في حكاية الخلاف، أن تستوعب الأقوال في ذلك المقام، وأن ينبَّه على الصحيح منها ويُبطَل الباطل، وتُذكَر فائدة الخلاف وثمرته.

أقطاب الروايات الإسرائيلية:

أ-كعب الأحبار:

هو كعب بن ماتع الحميري، أصله من يهود اليمن، أسلم في خلافة أبي بكر الصديق، تُوفي بحمص سنة 32 ه.

كان يُقال له (كعب الأحبار) لعلمه، وهو ثقة في الرواية، لكنه ينقل من التوراة أشياء ويفسِّر بها القرآن الكريم.

ب-وهب بن منبّه:

أصله من أبناء الفرْس الذين نزلوا اليمن، كان عابدًا ثقة، تُوفي سنة 110 هـ.

المحاضَرَةُ التاسعة

وقفة مع أبرز كتب التفسير بالمأثور1

عَناصِرُ المحاضَرَةِ التاسعة:

أولًا: أنواع المؤلفات في التفسير بالمأثور.

ثانيًا: وقفة مع الإمام الطبري وتفسيره (جامع البيان)

ثالثًا: وقفة مع الإمام البغوي وتفسيره (معالم التنزيل)

<u>أولًا: أنواع المؤلفات في التفسير بالمأثور:</u>

كان التفسير في القرون الأولى علم رواية، مثله مثل بقية علوم الشريعة الأخرى، كالحديث والفقه وغيرها.

ثم لمَّا توجَّهت الأمة إلى تدوين العلوم دُوِّن علم التفسير، ولما دُوِّن علم التفسير تباينت المناهج فيه.

وقد تناول أهل العلم والنُّقَّاد غالب كتب التفسير بالنقد، فبيَّنوا المفيد منها من غيره، وبيَّنوا منقبة كل تفسير وميزته.

<u>المؤلفات في التفسير بالمأثور على نوعين:</u>

النوع الأول: كتاب رواية محضة مجرَّدة.

النوع الثاني: كتاب رواية ودراية، أي أنه يعتمد على النقل والمأثور، لكنه ينقد هذه الروايات ويرجِّح بينها، ويختار ويفسِّر بحسب ما ظهر له.

<u>*أشهر كتب الرواية المحضة المجرَّدة:</u>

1-تفسير القرآن: لعبد الرزاق الصنعاني، شيخ الإمام أحمد ويحيى بن معين.

2- تفسير القرآن العظيم: لعبدالرحمن بن محمد بن إدريس الرازي، المعروف بابن أبي حاتم.

3-تفسير القرآن: لآدم بن أبي إياس العسقلاني، شيخ الإمام البخاري.

4-تفسير الإمام ابن ماجه صاحب السنن، وهو كتاب مفقود.

5-تفسير الدُّر المنثور في التفسير بالمأثور، للإمام السيوطي، وهو وإن لم يكن في زمن الرواية؛ بمعنى أنه لا يروي بالإسناد، لكنه جمع كتب التفاسير من هذا النوع كلها تقريبًا، ولذلك يعدُّ تفسيره هذا جامعًا فريدًا في بابه.

<u>ثانيًا: وقفة مع الإمام الطبري وتفسيره (جامع البيان):</u>

***ترجمة الإمام الطبري (224 هـ - 310 هـ):**

هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري، وُلد في (آمل) بطبرستان، ولذلك قيل له الطبري.

قال الإمام الذهبي: هو الإمام، العَلَم، المجتهد، عالم العصر، أبو جعفر الطبري، صاحب التصانيف البديعة، من أهل آمل طبرستان

مولده: سنة أربع وعشرين ومائتين من الهجرة، وطلب العلم بعد الأربعين ومائتين، وأَكثَرَ الترحال، ولقي نبلاء الرجال، وكان من أفراد الدهر علمًا، وذكاء، وكثرة تصانيف، قلَّ أن ترى العيون مثله.

قال الخطيب البغدادي: كان أحد أئمة العلماء، يُحكَم بقوله، ويُرجَع إلى رأيه لمعرفته وفضله، وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، فكان حافظًا لكتاب الله، عارفًا بالقراءات، بصيرًا بالمعاني، فقيهًا في أحكام القرآن، عالمًا بالسنن وطرقها، صحيحها وسقيمها، وناسخها ومنسوخها، عارفًا بأقوال الصحابة والتابعين، عارفًا بأيام الناس وأخبارهم، وله الكتاب المشهور في (أخبار الأمم وتاريخهم)، وله كتاب (التفسير) لم يصنَّف مثله، وكتاب سمَّاه (تهذيب الآثار) لم أرَ سواه في معناه، لكن لم يتمه، وله في أصول الفقه وفروعه كتب كثيرة من أقاويل الفقهاء، وتفرَّد بمسائل حُفظَت عنه.

***تُوفِّي ابن جرير عشية الأحد ليومين بقيا من شوال سنة عشر وثلاث مائة من الهجرة، ودُفن في داره ببغداد، ولم يغيِّر شيبه، وكان أسمر إلى الأُدمة، نحيف الجسم، طويلا، فصيحا، وشيَّعه مَنْ لا يحصيهم إلا الله تعالى، وصُلِّيَ على قبره عدة شهور ليلا ونهارا.**

<u>ثناء العلماء على تفسيره:</u>

قال الخطيب: بلغني عن أبي حامد أحمد بن أبي طاهر الإسفراييني الفقيه أنه قال: لو سافر رجل إلى الصين حتى يحصِّل تفسير محمد بن جرير لم يكن كثيرا.

وقال الإمام النووي: أجمعتْ الأمة على أنه لم يُصنَّف مثل تفسير الطبري.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: وأما التفاسير التي بين يدي الناس فأصحُّها تفسير ابن جرير، فإنه يذكر مقالات السلف بالأسانيد الثابتة وليس فيه بدعة.

قال ابن جرير: استخرتُ الله وسألته العون على ما نويته من تصنيف التفسير قبل أن أعمله ثلاث سنين؛ فأعانني.

ذكر أبو القاسم بن عقيل الوراق أن أبا جعفر الطبري قال لأصحابه: هل تنشطون لتاريخ العالم من آدم إلى وقتنا؟، قالوا: كم قدره؟، فذكر نحو ثلاثين ألف ورقة، فقالوا: هذا مما تفنى الأعمار قبل تمامه، فقال: إنا لله؛ ماتت الهمم، فاختصر ذلك في نحو ثلاثة آلاف ورقة.

ولما أن أراد أن يُملي التفسير قال لهم نحوًا من ذلك، ثم أملاه على نحو من قدر التاريخ.

قال الإمام ابن جرير: "إنّي لأعجبُ مَمنْ قرأ القرآن ولم يعلَم تأويلَه؛ كيف يلتذُّ بقراءته؟."

<u>*متى ألَّف التفسير؟:</u>

قال الحاكم: وسمعت أبا بكر بن بالويه يقول: قال لي أبو بكر بن خزيمة: بلغني أنك كتبت التفسير عن محمد بن جرير؟، قلتُ:بلى، كتبته عنه إملاء، قال:كله؟، قلتُ: نعم، قال: في أي سنة؟، قلت: من سنة ثلاث وثمانين إلى سنة تسعين ومائتين (283-290 هـ).

قال: فاستعاره مني أبو بكر، ثم ردَّه بعد سنين، ثم قال: لقد نظرتُ فيه من أوله إلى آخره، وما أعلم على أديم الأرض أعلم من محمد بن جرير.

فهذا النص يدل أنه مكث في تأليفه وإملائه مدة تقارب (7) سنين.

***اسم تفسيره: جامع البيان عن تأويل القرآن، هكذا سمَّاه مؤلفه.**

واشتهر بين الناس بـــ (تفسير الطبري) على وجه الاختصار.

<u>*منهج الإمام الطبري في تفسيره:</u>

أ-ابتدأ تفسيره بمقدمة طويلة فيها مسائل مهمة تتعلق بالقرآن الكريم، مثل: هل في القرآن من غير لسان العرب؟، وما هي الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن؟، وعلى أي حرف رُسِم مصحف عثمان؟.

ب-طريقته في التفسير أن يذكر المقطع القرآني الذي يريد تفسيره، ثم يبدأ بقوله (القول في تفسير قوله تعالى ...) ويذكر الآية، ثم يبدأ بذكر القول الأول الوارد في تفسيرها، ثم يروي ذلك عن أصحابه بالإسناد، ثم يذكر الأقوال الأخرى

في الآية بنفس الطريقة، ثم يختم المبحث بالترجيح، فيرجح أحد الأقوال ويرد على الأقوال الأخرى، ثم يختم بذكر القراءات القرآنية وتوجيهها، ويختار منها.

قال الإمام الذهبي: وتفسير هذا الإمام مشحون في آيات الصفات بأقوال السلف على الإثبات لها، لا على النفي والتأويل، وأنها لا تشبه صفات المخلوقين أبدا.

و-يذكر الإمام الطبري في تفسيره الروايات الإسرائيلية، ولكنه يسكت أحيانًا عليها دون تعليق، وأحيانًا يعلّق عليها ويضعِّفها.

ثالثًا: وقفة مع الإمام البغوي وتفسيره (معالم التنزيل):

*التعريف بالإمام البغوي:

هو الحسين بن مسعود أبو محمد البغوي الفراء، توفي سنة 510 هـ، وقد تجاوز الثمانين من العمر.

*التعريف بتفسير (معالم التنزيل):

(معالم التنزيل) هو كتاب متوسط، وهو من كتب التفسير بالمأثور.

ج-اهتمامه بالمذاهب النحوية: كان الإمام ابن جرير نحويا على مذهب أهل الكوفة، ولذلك نجده غالبًا ما ينتصر لهم ويستخدم مصطلحاتهم.

د-يرجع الإمام الطبري في تفسيره إلى الشعر، وهو كثير في تفسيره، وأكثر الشواهد فيه استفادها من (مجاز القرآن) لأبي عبيدة و(معاني القرآن) للفرَّاء.

ه-الإمام الطبري أحد أئمة السلف، وطريقته في تفسير آيات الصفات هو إمرارها كما جاءت؛ من غير تحريف ولا تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه.

قال رحمه الله: وحسب امرئ أن يعلم أن ربه هو الذي على العرش استوى، فمن تجاوز ذلك فقد خاب وخسر.

أورد الإمام البغوي أسانيده في أول الكتاب، واختصرها بعد ذلك خلال الكتاب كي لا يحدث تطويل.

نموذج من تفسير معالم التنزيل:

قال تعالى: ((وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (68) اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (69) أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (70) وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ (71) وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (72))).

((اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ)) فتعرفون حينئذ الحق من الباطل، والاختلاف: ذهاب كل واحد من الخصمين إلى خلاف ما ذهب إليه الآخر، ((أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ)) كله، ((فِي كِتَابٍ)) يعني: اللوح المحفوظ، ((إِنَّ ذَلِكَ)) يعني: علمه لجميع ذلك، ((عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ)).

((وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا)) حجة، ((وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ)) يعني: أنهم فعلوا ما فعلوا عن جهل لا عن علم، ((وَمَا لِلظَّالِمِينَ)) للمشركين، ((مِنْ نَصِيرٍ)) مانع يمنعهم من عذاب الله.

((وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ)) يعني: القرآن، ((تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ)) يعني: الإنكار، يتبين ذلك في وجوههم من الكراهية والعبوس، ((يَكَادُونَ يَسْطُونَ)) أي: يقعون ويبسطون إليكم أيديهم بالسوء، وقيل: يبطشون، ((بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا)) أي: بمحمد وأصحابه من شدة الغيظ، يقال: سطا عليه وسطا به، إذا تناوله بالبطش والعنف، وأصل السطو: القهر.

ا.هـ من تفسير الإمام البغوي

المحاضَرَةُ العاشرة

وقفة مع أبرز كتب التفسير بالمأثور2

عَناصِرُ المحاضَرَةِ العاشرة:

أولًا: تفسير الإمام ابن أبي حاتم.

ثانيًا: تفسير الإمام السمرقندي.

ثالثًا: تفسير الإمام ابن كثير.

رابعًا: تفسير الإمام السيوطي (الدر المنثور).

أولًا: تفسير الإمام ابن أبي حاتم:

***التعريف بالإمام ابن أبي حاتم:**

هو عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي، أبوه إمام الحديث في زمانه أبو حاتم الرازي، ولد سنة 240 هـ، وتُوُفي سنة 327 هـ، كان بحرا في العلوم، وصنف تصانيف سارت بها الركبان، أشهرها كتاب الجرح والتعديل، وكتاب التفسير.

قال الإمام الذهبي: له كتاب نفيس في (الجرح والتعديل) أربع مجلدات، وكتاب (الرد على الجهمية) مجلد ضخم، وله (تفسير) كبير في عدة مجلدات، عامته آثار بأسانيدها، من أحسن التفاسير.

***التعريف بتفسيره:**

هو كتاب إسناد ورواية، يروي التفسير بالإسناد دون أن يعلِّق بشيء، ويكثر من الأسانيد المعروفة، وهو كتاب مطبوع متداول.

***نموذج من تفسير الإمام ابن أبي حاتم:**

قال تعالى: ((قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ)).

قوله: ((قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً)): حدثنا حجاج بن حمزة، ثنا شبابة، ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ((قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً))، قال: "أمر محمد أن يسأل قريشا".

قوله عز وجل: ((وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ)): حدثنا أبي، ثنا أبو صالح، حدثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس ((وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ)) يعني: أهل مكة.

قوله: ((وَمَنْ بَلَغَ)): حدثنا أبي، ثنا أبو صالح، حدثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: ((وَمَنْ بَلَغَ)): يعني من بلغه هذا القرآن، فهو له نذير من الناس.

حدثنا حجاج بن حمزة، ثنا شبابة، ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ((وَمَنْ بَلَغَ)): من أسلم من العرب والعجم وغيرهم. ا.هـ من تفسير الإمام ابن أبي حاتم

ثانيًا: تفسير الإمام السمرقندي:

***التعريف بالإمام السمرقندي:**

هو أبو الليث، نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي، المعروف بإمام الهدى، اشتهر بكثرة الأقوال المفيدة، والتصانيف المشهورة، ومن أهم تصانيفه تفسير القرآن المسمَّى بـ "بحر العلوم"، وكتاب النوازل فى الفقه، وخزانة الفقه فى مجلد، وتنبيه الغافلين.

وكانت وفاته رحمه الله سنة 373 هـ (ثلاث وسبعين وثلاثمائة)، وقيل: سنة 375 هـ (خمس وسبعين وثلاثمائة) من الهجرة.

*التعريف بتفسير (بحر العلوم):

ابتدأ هذا التفسير بباب في الحث على طلب التفسير وبيان فضله، واستشهد الإمام السمرقندي على ذلك

بروايات عن السَلَف، رواها بإسناد إليهم، ثم بيَّن أنه لا يجوز لأحد أن يفسِّر القرآن برأيه من ذات نفسه ما لم يتعلَّم أو يعرف وجوه اللغة وأحوال التنزيل، واستدلَّ على حُرْمه التفسير بمجرد الرأي بأقوال رواها عن السَلَف بإسناده إليهم أيضًا، وبعد أن فرغ من المقدمة شرع في التفسير.

*منهج الإمام السمرقندي في تفسيره:

أ-فسَّر القرآن بالمأثور عن السَلَف، فساق الروايات عن الصحابة والتابعين ومَنْ بعدهم في التفسير، ولكنه لا يذكر إسناده إلى مَنْ يروى عنه، ويندر سياقه للإسناد في بعض الروايات.

ب-إذا ذكر الأقوال والروايات المختلفة لا يُعقِّب عليها، ولا يُرَجِّح كما يفعل الإمام الطبرى - مثلاً - إلا في حالات نادرة.

ج-عَرَض للقراءات ولكن بقدْر، كما أنه احتكم إلى اللغة أحيانًا، ويشرح القرآن بالقرآن إن وجد من الآيات القرآنية ما يوضح معنى آية أخرى

د-روى من القصص الإسرائيلي، ولكن على قِلَّة وبدون تعقيب منه على ما يرويه.

هـ-كثيرًا ما يقول: قال بعضهم كذا، وقال بعضهم كذا، ولا يُعيَّن هذا البعض، وهو يروى أحيانا عن الضعفاء.

و-عرض بعض الإشكالات التي ترد على ظاهر النظم؛ ثم أجاب عنها، كما عرض لموهم الاختلاف والتناقض في بعض الآيات؛ وأزال هذا الإيهام.

ثالثًا: تفسير الإمام ابن كثير:

*التعريف بالإمام ابن كثير:

هو أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، ولد سنة 701 هـ، وتوفي سنة 774 هـ.

من أشهر شيوخه الإمام المِزّي وشيخ الإسلام ابن تيمية، وله الكتب الكثيرة المفيدة.

التعريف بتفسيره:

هو من أحسن التفاسير وأيسرها، لأن كاتبه عالم محدِّث فقيه، وهو من أشهر كتب التفسير بالمأثور.

ينتقي من الروايات، ويتكلم على العلل، ويجرِّح ويوثِّق، بدأ كتابه بمقدمة في التفسير اختصر فيها رسالة شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية.

*نموذج من تفسير الإمام ابن كثير:

قال تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلا تُوَلُّوهُمُ الأدْبَارَ (15) وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إلا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (16))).

يقول تعالى متوعدًا على الفرار من الزحف بالنار لمن فعل ذلك: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا))، أي: تقاربتم منهم ودنوتم إليهم، ((فَلا تُوَلُّوهُمُ الأدْبَارَ)) أي: تفرُّوا وتتركوا أصحابكم

((وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إلا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ)) أي: يفر بين يدي قرنه مكيدة؛ ليريه أنه خاف منه فيتبعه، ثم يكر عليه فيقتله؛ فلا بأس عليه في ذلك، نصَّ عليه سعيد بن جبير والسُّدي.

وقال الضحاك: أن يتقدم عن أصحابه ليَرى غِرَّة من العدو فيصيبها.

((أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ)) أي: فرَّ من هاهنا إلى فئة أخرى من المسلمين، يعاونهم ويعاونوه فيجوز له ذلك، حتى ولو كان في سرية ففرَّ إلى أميره أو إلى الإمام الأعظم دخل في هذه الرخصة.

قال الإمام أحمد: حدثنا حسن، حدثنا زُهَيْر، حدثنا يزيد بن أبي زياد، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- قال: كنتُ في سرية من سرايا رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فحاص الناس حيصة -وكنتُ فيمن حاص-، فقلنا: كيف نصنع وقد فررنا من الزحف وبؤنا بالغضب؟، ثم قلنا: لو دخلنا المدينة فبتنا؟، ثم قلنا: لو عرضنا أنفسنا على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فإن كانت لنا توبة وإلا ذهبنا؟، فأتيناه قبل صلاة الغداة، فخرج فقال: مَنْ القوم؟، فقلنا: نحن الفرارون،

فقال: لا؛ بل أنتم العَكَّارون، أنا فئتكم، وأنا فئة المسلمين، قال: فأتيناه حتى قَبَّلنا يده.

وهكذا رواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، من طرق عن يزيد بن أبي زياد، وقال الترمذي: حسن لا نعرفه إلا من حديثه، ورواه ابن أبي حاتم من حديث يزيد بن أبي زياد به، وزاد في آخره: وقرأ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- هذه الآية: ((أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ)).

قال أهل العلم: معنى قوله (العَكَّارون) أي: العطافون.

وكذلك قال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- في أبي عبيد لما قُتِل على الجسر بأرض فارس لكثرة الجيش من ناحية المجوس، فقال عمر: لو انحاز إليّ كنت له فئة، هكذا رواه محمد بن سيرين عن عمر.

وفي رواية أبي عثمان النهدي عن عمر قال: لما قُتِل أبو عبيد قال عمر: يا أيها الناس؛ أنا فئتكم.

وقال مجاهد: قال عمر: أنا فئة كل مسلم. ا.هـ من تفسير الإمام ابن كثير

<u>رابعًا: تفسير الإمام السيوطي (الدر المنثور):</u>

<u>*التعريف بالإمام السيوطي:</u>

هو الحافظ جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد، السيوطي الشافعي، صاحب المؤلفات الفائقة النافعة، وِلُد في رجب سنة 849 هـ (تسع وأربعين وثمانمائة)، وتوفي والده وله من العمر خمس سنوات وسبعة أشهر، وختم القرآن وله من العمر ثمان سنين، وحفظ كثيرًا من المتون، وأخذ عن شيوخ كثيرين، عدّهم تلميذه الداودي فبلغ بهم واحدًا وخمسين، كما عَدَّ مؤلفاته فبلغ بها ما يزيد على الخمسمائة مُؤلَّف، وشهرة مؤلفاته تُغني عن ذِكْرها، فقد اشتهرت شرقًا وغربًا، ورُزِقت قبول الناس، وكان السيوطي -رحمه الله- آية في سرعة التأليف؛ حتى قال تلميذه الداودي: عاينتُ الشيخ وقد كتب في يوم واحد ثلاث كراريس تأليفًا وتحريرًا، وكان أعلم أهل زمانه بعلم الحديث وفنونه، رجالًا، وغريبًا، ومتنًا، وسندًا، واستنباطًا للأحكام.

ولما بلغ الأربعين من العمر تجرَّد للعبادة، وانقطع إلى الله تعالى، وأعرض عن الدنيا وأهلها، وترك الإفتاء والتدريس، واعتذر عن ذلك في مُؤلَّف سمَّاه بـ " التنفيس"، وأقام في (روضة المقياس) ولم يتحوَّل عنها إلى أن مات.

تُوفِّي في سَحَر ليلة الجمعة تاسع عشر جمادى الأولى سنة 911 هـ (إحدى عشرة وتسعمائة).

<u>*التعريف بتفسير (الدُرُّ المنثور في التفسير بالمأثور):</u>

بيَّن الإمام السيوطي الدافع لتأليفه هذا التفسير وذلك بمجموع ما ذكره في آخر كتابه (الإتقان)، وما ذكره في مقدمة تفسير (الدُرّ المنثور) نفسه، حيث قال في آخر كتاب الإتقان (2/ 183): (وقد جمعتُ كتابًا مسندًا فيه تفاسير النبي صلى الله عليه وسلم، فيه بضعة عشر ألف حديث ما بين مرفوع وموقوف، وقد تم ولله الحمد في أربع مجلدات، وسمَّيته "ترجمان القرآن")

وقال في مقدمة تفسير الدُرِّ المنثور (2/1): (وبعد.. فلما أَلَّفتُ كتاب ترجمان القرآن -وهو التفسير المُسْنَد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم- وتم بحمد الله في مجلدات، فكان ما أوردته فيه من الآثار بأسانيد الكتب المخرَّجة منها واردات، رأيتُ قصور أكثر الهمم عن تحصيله، ورغبتهم في الاقتصار على متون الأحاديث دون الإسناد وتطويله، فلخَّصتُ منه هذا المختصر، مقتصرًا فيه على متن الأثر، مصدَّرًا بالعزو والتخريج إلى كل كتاب معتبر، وسمَّيته بالدُرِّ المنثور في التفسير بالمأثور).

ومن هاتين العبارتين يتبين لنا أن الإمام السيوطي اختصر كتابه (الدُرّ المنثور) من كتابه (ترجمان القرآن)، وحذف الأسانيد مخافة الملل، مع عزوه كل رواية إلى الكتاب الذي أخذها منه.

والإمام السيوطي مُغرم بالجمع وكثرة الرواية، وهو مع جلالة قدره ومعرفته بالحديث وعلله؛ لم يتحرَّ الصحة فيما جمع في هذا التفسير، وإنما خلط فيه بين الصحيح والعليل.

المحاضَرَةُ الحادية عشرة

التفسير بالرأي

عَناصِرُ المحاضَرَةِ الحادية عشرة:

أولًا: معنى التفسير بالرأي.

ثانيًا: موقف العلماء من التفسير بالرأي.

ثالثًا: العلوم التي يحتاج إليها المفسِّر.

أولًا: معنى التفسير بالرأي:

يُطلق الرأي على الاعتقاد، والاجتهاد، والقياس.

والمراد بالتفسير بالرأي: تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسر لكلام العرب؛ وطرقهم في القول، واستعانته بعلوم مهمة تتعلق بالكتاب العزيز.

ثانيًا: موقف العلماء من التفسير بالرأي:

اختلف العلماء في حكم التفسير بالرأي على قولين:

القول الأول: هو قول قوم تشددوا في التفسير بالرأي، وقالوا: لا يجوز تفسير القرآن بشيء من الرأي.

القول الثاني: هو قول قوم ترخَّصوا، فأجازوا لكل ذي أدب ولغة أن يفسِّر القرآن باجتهاده.

وهذان القولان في طرفي نقيض، وفيما يلي عرضٌ لأدلة القائلين بكل قول من هذين القولين.

***أدلة القول الأول:**

أ-التفسير بالرأي قول على الله بغير علم، وهذا منهي عنه لقوله تعالى: ((وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ)).

ب-ما ورد في السنة من النهي عن التفسير بالرأي؛ ومن ذلك:

حديث ابن عباس مرفوعًا: (اتقوا الحديث عني إلا ما علمتم، فمن كذب عليَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار، ومن قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار). رواه الإمام الترمذي

وحديث جندب مرفوعًا: (مَن قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ). رواه الإمام الترمذي والإمام أبو داود

ج-ما ورد عن السلف من الصحابة والتابعين من الآثار التي تدل على أنهم كانوا يُعَظِّمون تفسير القرآن، ويحرّجون على القول فيه بالرأي.

فقد سُئل أبو بكر الصديق عن تفسير آية من كتاب الله فقال: أيُّ سماء تظلُّني وأيُّ أرض تقلُّني إذا قُلتُ في كتاب الله بغير علم؟!.

أدلة القول الثاني:

أ-استدلوا بآيات كثيرة أمر الله فيها بالتفكُّر والتدبُّر، مثل قوله تعالى: ((أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ))، وقوله تعالى: ((كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ)).

ب-التفسير بالرأي من قبيل الاجتهاد، فلو كان التفسير بالرأي ممنوعًا لكان الاجتهاد ممنوعًا كذلك.

ج-ما ثبت عن الصحابة مِن أنهم قرؤوا القرآن واختلفوا في تفسيره على أقوال متعددة.

د-دعاء النبي -صلى الله عليه وسلم-لابن عباس بقوله (اللهم فَقِّهه في الدين، وعَلِّمه التأويل).

فلو كان التأويل مقصورًا على السماع لما كان في هذا الدعاء من النبي وتخصيص ابن عباس به أيّ فائدة.

***القول المختار:**

الصحيح أن كلا الفريقين قد بالغ فيما ذهب إليه، فمَن اقتصر على المنقول إليه فقد ترك كثيرًا مما يُحتَاج إليه،

ومَن أجاز لكل أحد الخوض في تفسير القرآن فقد عرَّضه للتخليط، ولم يعتبر حقيقة قوله تعالى: ((لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ)).

لذلك نقول: إن التفسير بالرأي جائز، ولكن ليس لكل أحد؛ بل لمَن اكتملت فيه آلة الاجتهاد، واجتمعتْ له علوم التفسير.

<u>أما أدلة المانعين له مطلقًا فيُجاب عنها بما يلي:</u>

أ-حديث ابن عباس (من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار): في إسناده عبد الأعلى الثعلبي، وهو ضعيف الحديث.

ب-حديث جندب (مَن قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ): فيه سهيل بن أبي حزم، وهو ضعيف الحديث.

ج-الآثار عن الصحابة والتابعين في النهي عن تفسير القرآن بالرأي فمحمولة على الرأي المجرد من العلم، والرأي بالهوى، ولذلك رُوي عنهم أنهم قالوا في القرآن برأيهم واجتهادهم، وهم أهل لهذا الاجتهاد.

مثال: قول أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- وقد سُئل عن (الكلالة) فقال: أقول فيها برأيي، فإن كان صوابًا فمن الله، وإن كان غير ذلك فمني ومن الشيطان.

وينبغي التأكيد على أن الذي يجوز له تفسير القرآن بالرأي هو مَنْ جمع العلوم التي يحتاجها المفسِّر.

<u>ثالثًا: العلوم التي يحتاج إليها المفسِّر:</u>

<u>هي علوم كثيرة؛ على ثلاثة أنواع:</u>

الأول: ما يخص لغة العرب، وهي علوم معرفة اللسان والنحو والصرف والاشتقاق والبلاغة بأنواعها.

الثاني: ما يختص بعلوم الرواية؛ كعلم الحديث، والقراءات، وعلوم القرآن: كالناسخ والمنسوخ، والمكي والمدني، والمحكَم والمتشابه، وغير ذلك من العلوم.

الثالث: ما يختص بالفقه وأصوله.

ومن ذلك نستنتج أن الذي يتكلَّم في التفسير لابدَّ أن يكون قد أحاط بعلوم الشريعة، وأخذ من كل علم بحظ وافر،

وهكذا كان حال علماء التفسير الكبار الذين كُتبَ لهم القبول في هذا العلم.

***<u>منشأ الخطأ في التفسير بالرأي:</u>**

يرجع الخطأ في التفسير بالرأي -غالبًا- إلى جهتين:

الجهة الأولى: أن يعتقد المفسر معنى من المعاني ثم يريد حمْل ألفاظ القرآن على هذا المعنى.

مثال: تفسير بعض الصوفية لقوله تعالى: ((اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ)) أي: بمخالفة هواها.

وتفسيرهم لقوله تعالى: ((أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ)) أي: أَخرِجوا حب الدنيا من قلوبكم.

الجهة الثانية: مراعاة مجرد اللفظ؛ من غير نظر إلى ما يصلح للمتكلم به أو المخاطب.

مثال: مَن يفسِّر قوله تعالى: ((وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً)) على أن (مبصرة) من الإبصار بالعين.

وهذا خلاف المراد من الآية، إذْ المراد: آية واضحة.

***أنواع التفسير بالرأي:**

النوع الأول: التفسير بالرأي المحمود، وهو الذي يعتمد على الكتاب، والسنة، وآثار الصحابة والتابعين، وعلوم الشريعة التي يحتاجها المفسِّر.

النوع الثاني: التفسير بالرأي المذموم، وهو تفسير أهل البدع والضلالات، كتفسير الباطنية، والمعتزلة، والصوفية.

وفيما يلي وقفة مع أشهر كتب التفسير بالرأي المحمود –والله المستعان-.

(المحاضَرَةُ الثانية عشرة)

أولًا: عرْض مُوجز لأشهر كتب التفسير بالرأي المحمود.

ثانيًا: وقفة مع تفسير (مفاتيح الغيب) للإمام الفخر الرازي.

ثالثًا: وقفة مع تفسير (البحر المحيط) للإمام أبي حيان.

رابعًا: وقفة مع تفسير (إرشاد العقل السليم) للإمام أبي السعود

أولًا: عرْض مُوجز لأشهر كتب التفسير بالرأي المحمود:

من أبرز كتب التفسير بالرأي المحمود ما يلي:

1-المحرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد بن عطية الأندلسي (ت 546).

2-مفاتيح الغيب، لأبي عبد الله محمد الرازي(ت 606).

3-أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لناصر الدين البيضاوي (ت 691).

4-مدارك التنزيل وحقائق التأويل، لأبي البركات النسفي (ت 701).

5-لباب التأويل في معاني التنزيل، لعلاء الدين الخازن (ت 741).

6-البحر المحيط، لأبي حيَّان الأندلسي (ت 754).

7-إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود (ت 982).

8-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي (ت 1270).

9-فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، للشوكاني (ت 1250).

10-محاسن التأويل، للقاسمي الدمشقي.

11-التحرير والتنوير، لابن عاشور.

ثانيًا: وقفة مع تفسير (مفاتيح الغيب) للإمام الفخر الرازي:

***التعريف بالإمام الفخر الرازي:**

هو فخر الدين، محمد بن عمر بن الحسين القرشي.

قال الإمام الذهبي: العلامة الكبير ذو الفنون، فخر الدين، محمد بن عمر بن الحسين القرشي، البكري، الطبرستاني، الأصولي، المفسر، كبير الأذكياء والحكماء والمصنفين، وُلد سنة أربع وأربعين وخمس مائة هـ، مات بـ (هراة) يوم عيد الفطر سنة ست وست مائة هـ، وله بضع وستون سنة.

قال الإمام الذهبي: وقد بدت منه في تواليفه بلايا وعظائم وانحرافات عن السنة، والله يعفو عنه، فإنه توفي على طريقة حميدة، والله يتولى السرائر... وقد اعترف في آخر عمره حيث يقول: لقد تأملتُ الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلا، ولا تروي غليلا، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، أقرأ في الإثبات {الرحمن على العرش استوى}، {إليه يصعد الكلم...}، وأقرأ في النفي {ليس كمثله شيء}، ومَن جرَّب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي.

***التعريف بتفسيره:**

اسم تفسيره (مفاتيح الغيب)، ولم يتمه مؤلفه، وقيل إن الذي أكمله هو نجم الدين القمولي (ت727)، وقيل بل الذي أتمه هو شهاب الدين الخويي (ت639)، ووصل فيه الفخر الرازي إلى سورة الأنبياء فيما يُظَن.

***منهج الإمام الفخر الرازي في تفسيره:**

أ-اهتم الرازي في تفسيره بالعلوم الرياضية والفلسفية، وله مؤلفات في هذا الباب، وقد انتُقِد في ذلك حتى قال بعضهم: في تفسيره كل شيء إلا التفسير، وقال ابن خلكان: جمع في تفسيره كل غريب وغريبة.

ب-اهتم ببيان مناسبات بين سور القرآن وآياته.

ج-اعتنى كثيرا بإيراد شُبَه المعتزلة والرد عليهم، لكنه حين يورد شبههم فإنه يوردها بقوة، ويعرضها بأحلى حلة، ثم يكون رده ضعيفًا غير واضح!!.

ولذلك قال بعض أهل العلم في وصفه: يُورِد الشبه نقدًا، ويردُّ عليها نسيئة.

د-اعتنى بعلم أصول الفقه والنحو والبلاغة.

ثالثًا: وقفة مع تفسير (البحر المحيط) للإمام أبي حيان:

***التعريف بالإمام أبي حيان:**

هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي، المولود سنة 654 هـ، والمتوفَى سنة 745 هـ بمصر.

كان عالمًا أديبًا شاعرًا ملمًّا بالقراءات والفقه والحديث، وله مؤلفات كثيرة ومشهورة.

***التعريف بتفسيره:**

اسم تفسيره (البحر المحيط)، ويعتبر هذا التفسير المرجع الأول والأهم لمن يريد أن يقف على وجوه الإعراب لألفاظ القرآن، حتى إن بعضهم قال: كتاب أبي حيَّان أقرب ما يكون لكتب النحو منه إلى كتب التفسير.

يعتنى هذا التفسير بإيراد القراءات وأسباب النزول والناسخ والمنسوخ، ولا يُغفِل الأحكام الفقهية ولا الناحية البلاغية،

وينقل عن المتقدمين كالزمخشري وابن عطية، واعتمد أبو حيَّان في تفسيره على تفسير ابن النقيب، ومَدَحه بأنه كتاب التحرير والتحبير لأقوال أئمة التفسير؛ إذ هو أكبر كتاب أُلِّف في التفسير

رابعًا: وقفة مع تفسير (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) للإمام أبي السعود:

***التعريف بالإمام أبي السعود:**

هو أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، المولود فى سنة 983 هـ (ثلاث وتسعين وثمانمائة من الهجرة)، بقرية قريبة من القسطنطينية، وهو من بيت عُرف أهله بالعلم والفضل، قرأ كثيرًا من كتب العلم على والده، وتتلمذ لكثير من جلَّة العلماء، فاستفاد منهم علما جمًّا، ثم طارت سمعته، وفاضت شهرته، وعظم صيته، وتولَّى التدريس في كثير من المدارس التركية، ثم نُقل إلى قضاء القسطنطينية، ثم تولَّى أمر الفتوى بعد ذلك، فقام بها خير قيام بعد أن اضطرب أمرها بانتقالها من يد إلى يد، وكان ذلك سنة 952 هـ (اثنتين وخمسين وتسعمائة من الهجرة).

وقد ذكروا عنه أنه كان يكتب جواب الفتوى على منوال ما يكتبه السائل من الخطاب، فإن كان السؤال منظومًا كان الجواب منظومًا كذلك، مع الاتفاق بينهما في الوزن والقافية، وإن كان السؤال نثرًا مسجعًا

كان الجواب مثله، وإن كان بلغة العرب فالجواب بلغة العرب، وإن كان بلغة التُرْك فالجواب بلغة التُرْك ... وهكذا مما يشهد للرجل بسعة أُفقه وغزارة علمه.

تُوفِّي رحمه الله بمدينة القسطنطينية، ودفن بجوار أبي أيوب الأنصاري، وذلك في سنة 982 هـ (اثنتين وثمانين وتسعمائة من الهجرة)، رحمه الله رحمة واسعة.

*** التعريف بهذا التفسير ومنهج الإمام أبي السعود فيه:**

صاحب هذا التفسير شغُل كثيرًا بالتدريس والقضاء والفتوى، ولكنه اختلس فرصًا من وقته ألَّف فيها كتابه في التفسير.

وهذا التفسير غاية في بابه، كشف فيه صاحبه عن أسرار البلاغة القرآنية بما لم يسبقه أحد إليه، ومن أجل ذلك ذاعت شهرة هذا التفسير بين أهل العلم.

اعتمد أبو السعود في تفسيره على تفسير الكشاف والبيضاوي وغيرهما ممن تقدَّمه، غير أنه لم يغتر بما جاء في الكشاف من الاعتزاليات، ولهذا لم يذكرها إلا على جهة التحذير منها، مع جريانه على مذهب أهل السُنَّة في تفسيره.

لكننا نجده قد وقع فيما وقع فيه صاحب الكشاف وصاحب أنوار التنزيل من أنه ذكر في آخر كل سورة حديثاً عن النبي - صلى الله عليه وسلم- فى فضلها، وما لقارئها من الثواب والأجر عند الله، مع أن هذه الأحاديث موضوعة باتفاق أهل العلم جميعًا.

***منهج الإمام أبي السعود في تفسيره:**

أ-اهتمَّ بالكشف عن نواحي القرآن البلاغية، وسر إعجازه في نظمه وأسلوبه، وبخاصة في باب الفصل والوصل، والإيجاز والإطناب، والتقديم والتأخير، والاعتراض والتذييل، كما أنه اهتم بإبداء المعاني الدقيقة التي تحملها التراكيب القرآنية بين طيَّاتها، مما لا يكاد يظهر إلا لمن أُوتِي حظًّا وافرًا من المعرفة بدقائق اللغة العربية.

ب-إقلاله من رواية الإسرائيليات: من ناحية أخرى نجد أنه مُقِلّ في سرْد الإسرائيليات، غير مُولع بذكرها، وإن ذكرها أحيانًا فإنه لا يذكرها على سبيل الجزم بها، بل يُصَدِّر ذكْر الرواية بقوله: روى، أو قيل، مما يُشعِر بضعفها، وإن كان لا يُعَقِّب عليها بعد ذلك.

ج-إقلاله من ذكْر المسائل الفقهية: حيث نجد الإمام أبا السعود -رحمه الله- يتعرَّض في تفسيره لبعض المسائل الفقهية، ولكنه مُقِلّ جدًا، ولا يكاد يدخل في المناقشات الفقهية والأدلة المذهبية، بل نجده يسرد المذاهب في الآية ولا يزيد على ذلك.

د-تناوله لما تحتمله الآيات من وجوه الإعراب: حيث نلحظ عليه أنه يعرض أحيانًا للناحية النحوية إذا كانت الآية تحتمل أوجهًا من الإعراب، ويُنزل الآية على اختلاف الأعاريب، ويُرَجِّح واحدًا منها ويدلِّل على رجحانه

المحاضَرَةُ الثالثة عشرة

التفسير الفقهي للقرآن الكريم

أولًا: المراد بالتفسير الفقهي.

ثانيًا: أشهر الكتب المؤلَّفة في التفسير وِفْق المذاهب الفقهية.

ثالثًا: وقفة مع الإمام القرطبي وتفسيره (الجامع لأحكام القرآن).

رابعًا: وقفة مع الإمام الكيا الهراسي في كتابه (أحكام القرآن).

<u>أولًا: المراد بالتفسير الفقهي:</u>

نزل القرآن الكريم مشتملًا على آيات تتضمن الأحكام الفقهية التي تتعلق بمصالح العباد في دنياهم وأخراهم، وقد اعتنى بعض المفسرين بجمع هذه الآيات وتفسيرها وبيان الأحكام المستنبطة منها، وسموا هذه التفاسير بـــ (أحكام القرآن).

<u>ثانيًا: أشهر الكتب المؤلَّفة في التفسير وِفْق المذاهب الفقهية:</u>

<u>الكتب المصنَّفة في أحكام القرآن كثيرة؛ منها ما يلي:</u>

-أحكام القرآن لأبي بكر الرازي الجصاص الحنفي (ت370)، وكتابه مطبوع ومتداول.

-أحكام القرآن لأبي حسن الطبري؛ المشهور بالكيا هراسي الشافعي (ت504).

-أحكام القرآن لأبي بكر بن العربي (ت543)، كتابه مطبوع، وهو مالكي المذهب.

-الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي (ت 671)، وهو مطبوع.

ولعل كتاب الإمام القرطبي هو أجمع هذه الكتب وأشهرها، ولذلك سنفرده بالكلام فيما يلي ــبمشيئة الله-.

ثالثًا: وقفة مع الإمام القرطبي وتفسيره (الجامع لأحكام القرآن):

<u>*التعريف بالإمام القرطبي:</u>

هو الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح الأنصاري القرطبي، كان من العلماء الصالحين والعباد الزاهدين، وله من الكتب: التفسير، والتذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، وهو تلميذ الإمام أبي العباس القرطبي صاحب (المفهم في شرح صحيح مسلم)، تُوفي أبو عبد الله القرطبي سنة (671هـ) رحمه الله رحمة واسعة.

<u>*التعريف بتفسيره:</u>

اسم تفسيره (الجامع لأحكام القرآن)، وقد أثنى عليه شيخ الإسلام ابن تيمية بالرغم من قرب العهد بين الإمامين، وهذا يدل على سرعة انتشار تفسير الإمام القرطبي ورواجه بين الناس، وما ذاك إلا لنفاسته.

قال ابن فرحون: تفسير القرطبي من أجلِّ التفاسير وأعظمها نفعًا، أسقط منه القصص والتواريخ، وأثبت عِوَضَها أحكام القرآن واستنباط الأدلة، وذَكَر القراءات والإعراب والناسخ والمنسوخ.

<u>*منهج الإمام القرطبي في التفسير:</u>

أ-اعتمد الإمام القرطبي تفسير القرآن كله، بخلاف بعض مَن أَلَّف في أحكام القرآن؛ فإنه اقتصر على آيات الأحكام فقط، أما تفسير الإمام القرطبي فهو كتاب تفسير وكتاب أحكام كذلك، لذا فقد جمع بين التفسير بالمأثور وبالرأي المحمود والتفسير الفقهي.

وأخبار المؤرخين، إلا ما لابد منه ولا غنى عنه للتبيين، واعتضتُ من ذلك تبيين آي الأحكام بمسائل تفسير لمعناها، وترشد الطالب إلى مقتضاها، فضمنتُ كل آية تتضمن حكمًا أو حكمين فما زاد مسائل نبين فيها ما تحتوي عليه من أسباب النزول والتفسير الغريب والحكم، فإن لم تتضمن حكمًا ذكرتُ ما فيها من التفسير والتأويل، هكذا إلى آخر الكتاب، وسمَّيتُه بـــ (الجامع لأحكام القرآن، والمبين لما تضمَّنه من السنة وآي الفرقان)، جعله الله خالصًا لوجهه، وأن ينفعني به ووالدي ومَن أراده بمنِّه، إنه سميع الدعاء، قريب مجيب، آمين.

ج-امتاز الإمام القرطبي بإنصافه في كثير من المسائل، وعدم تعصبه لمذهبه، بخلاف بعض المصنفين في أحكام القرآن، ولذلك نراه ينتصر للإمام الشافعي من ابن العربي المالكي لمَّا ردَّ عليه في تفسير قوله تعالى:((ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا)).

ب-ابتدأ الإمام القرطبي كتابه بمقدمة نفيسة مهمة في فضل القرآن وبيان بعض علومه، وذكر فيها شرطه ومنهجه في الكتاب؛ فقال رحمه الله: وشرطي في هذا الكتاب إضافة الأقوال إلى قائليها، والأحاديث إلى مصنفيها، فإنه يُقَال: من بركة العلم أن يُضَاف القول إلى قائله، وأُضرِب عن كثير من قصص المفسرين،

قال الإمام القرطبي: وقال الشافعي (أَلَّا تَعُولُوا) ألا تكثر عيالكم، قال الثعلبي: وما قال هذا غيره، وإنما يقال: أعال يعيل إذا كثر عياله، وزعم ابن العربي أن عال على سبعة معانٍ لا ثامن لها، يقال: عال مال، الثاني: زاد، الثالث: جار، الرابع: افتقر، الخامس: أثقل، حكاه ابن دريد، السادس: عال قام بمؤنة العيال، ومنه قوله عليه السلام: (وابدأ بمن تعول)، السابع: عال غلب، ومنه عيل صبره أي غلب، ويقال: أعال الرجل كثر عياله، وأما عال بمعنى كثر عياله فلا يصح.

قلتُ (القائل هو الإمام القرطبي): أما قول الثعلبي (ما قاله غيره)؛ فقد رواه الدارقطني في سننه عن زيد بن أسلم، وهو قول جابر بن زيد، فهذان إمامان من علماء المسلمين وأئمتهم قد سبقا الشافعي إليه.

وأما ما ذكره ابن العربي من الحصر وعدم الصحة؛ فلا يصح. ا.هـــ

فانظر كيف انتصر الإمام القرطبي –وهو مالكي المذهب- لقول الإمام الشافعي، وردَّ على ابن العربي وهو أحد أئمة المالكية، وممن يُكثر النقل عنه، وهذا دال على إنصاف الإمام القرطبي، وبُعْده عن التعصُّب

رابعًا: وقفة مع الإمام الكيا الهراسي في كتابه (أحكام القرآن):

* التعريف بالإمام الكيا الهراسي الشافعي:

هو عماد الدين، أبو الحسن علي بن محمد بن علي الطبرى، المعروف بالكيا الهراسي، الفقيه الشافعي، المولود سنة 450 هـ (خمسين وأربعمائة من الهجرة).

أصله من خراسان، ثم رحل عنها إلي نيسابور، وتفقَّه على إمام الحرمين الجويني مدة حتى برع، ثم خرج من نيسابور إلى (بيهق) ودرس بها مدة، ثم خرج إلى العراق، وتولَّى التدريس بالمدرسة النظامية ببغداد إلى أن تُوفِّي سنة 504 ه.

وكان رحمه الله فصيح العبارة، حلو الكلام، محدِّثًا، يستعمل الأحاديث في مناظراته ومجالسه.

التعريف بكتابه (أحكام القرآن):

يعتبر هذا الكتاب من أهم المؤلَّفات في التفسير الفقهي عند الشافعية، وذلك لأن مؤلفه شافعي، لا يقل في تعصُّبه لمذهبه عن الجصَّاص بالنسبة لمذهب الحنفية، مما جعله يُفسِّر آيات الأحكام على وفق قواعد مذهبه الشافعي.

غير أن الإمام الهراسي كان عَفّ اللسان والقلم مع أئمة المذاهب الأخرى، ومع كل مَن يتعرَّض للرد عليه من المخالفين، فلم يخض فيهم كما خاض الجصَّاص في أئمة المذاهب الأخرى.

وقد بيَّن المؤلف -رحمه الله- في مقدمة كتابه الدافع له على تأليفه، ومنهجه الذى سلكه، وتقديره لكتابه؛ حيث يقول: "ولما رأيتُ الأمر كذلك -يريد رجحان مذهب الشافعي على غيره- أردتُ أن أُصَنِّف كتابًا في أحكام القرآن، أشرح ما ابتدعه الشافعي رضى الله عنه من أخذ الدلائل في غوامض المسائل،

وضممتُ إليه ما نسجته على منواله، واحتذيتُ فيه على مثاله، على قدر طاقتي وجهدي، ومبلغ وسعي وجَدِّي ... ولا يعرف قدر هذا الكتاب وما فيه من العجب العجاب ولباب الألباب؛ إلا مَن وفر حظه من علوم المعقول والمنقول، وتبحَّر في الفروع والأُصول".

ثم إن المؤلِّف يتعرَّض لآيات الأحكام فقط، مع استيفاء ما ورد في جميع سور القرآن الكريم من آيات الأحكام.

.....

(المحاضَرَةُ الرابعة عشرة)

التفسير بالرأي المذموم

أولًا: تعريف التفسير بالرأي المذموم.

ثانيًا: وقفة مع تفسير الكشَّاف.

ثالثًا: وقفة مع كتاب (تنزيه القرآن عن المطاعن) للقاضي عبد الجبار.

رابعًا: أقوال أئمة أهل السنَّة في تفاسير المعتزلة.

أولًا: تعريف التفسير بالرأي المذموم:

المراد بالتفسير بالرأي المذموم هو تفاسير الفرق الضالة، التي تخالف أصولها أصول أهل السنة والجماعة، فهذه الفرق تعتقد رأيًا مذمومًا ثم تحمل النص القرآني على معتقداتها؛ حتى لو اضطرهم ذلك إلى لوْي أعناق النصوص.

*الفِرَق التي كتبتْ في التفسير:

غالب الفرق الضالة لها تفسير يوافق هواها، ولكن كثيرًا منها لم ينل شهرةً ولا رواجًا بين المسلمين؛ إلا بعض التفاسير التي اختصت بفوائد أخرى غير ما فيها من ضلال في العقيدة.

*أشهر كتب التفسير بالرأي المذموم:

1-متشابه القرآن، للقاضي عبد الجبار الهمذاني (ت 415)، وهو من المعتزلة.

2-الكشَّاف عن حقائق التأويل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم الزمخشري (ت 538)، وهو من المعتزلة.

3-أمالي الشريف المرتضى (ت 436)، ويسمَّى: غُرر الفوائد ودرر القلائد، والشريف المرتضى معتزلي رافضي.

نبذة عن المعتزلة وأشهر تفاسيرهم:

يقوم معتقد المعتزلة على خمسة أصول:

1-التوحيد: وبَنَوْه على نفي رؤية الله عز وجل، ونفْي صفاته عنه.

2-العدل: وبنوه على أن أفعال العباد لم يخلقها الله، وأنه لم يشأ إلا الخير، وقد يحصل في ملكه ما لا يريد!.

3-الوعد والوعيد: وبنوه على أن الله لا يغفر لمرتكب الكبيرة.

4-المنزلة بين المنزلتين: وذلك في حقِّ العصاة.

5-الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وأشهر تفاسير المعتزلة على الإطلاق هو: تفسير (الكشَّاف) للزمخشري، وهو ما سنقف معه فيما يلي.

ثانيًا: وقفة مع تفسير (الكشَّاف):

***مؤلِّفه: هو جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت538 هـ)، وتفسيره هو أجمع تفسير وصلنا من كتب التفسير بالرأي المذموم.**

***سبب خطأ الزمخشري وغيره من المفسرين بالرأي المذموم:**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: والمقصود أن هؤلاء اعتقدوا رأيًا ثم حملوا ألفاظ القرآن عليه، وليس لهم سلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ولا من أئمة المسلمين؛ لا في رأيهم، ولا في تفسيرهم، ..... ثم إنه لسبب تطرُّف هؤلاء وضلالهم دخلتْ الرافضة الإمامية ثم الفلاسفة ثم القرامطة وغيرهم فيما هو أبلغ من ذلك، وتفاقم الأمر في الفلاسفة والقرامطة والرافضة؛ فإنهم فسَّروا القرآن بأنواع لا يقضي العالِم منها عَجَبه، فتفسير الرافضة كقولهم في ((تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ)): هما أبو بكر وعمر، وفي ((لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ)): أي بين أبي بكر وعلي في الخلافة، وفي ((إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً)): هي عائشة، و((فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ)): طلحة والزبير، و((مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ)): علي وفاطمة، و((اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ)): الحسن والحسين، ((وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ)): في علي بن أبي طالب، و((عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ)): علي بن أبي طالب، و((إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ)): هو علي، ويذكرون الحديث الموضوع بإجماع أهل العلم، وهو تصدُّقه بخاتَمه في الصلاة، وكذلك قوله ((أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ)): نزلت في علي لما أُصيب بحمزة. ا.هـ

***منهج الزمخشري في تفسيره (الكشَّاف):**

أ-اعتنى الزمخشري ببيان لغة القرآن وبلاغته، ويُستَفاد منه في هذا الباب.

ب-عليه مؤاخذات في موضوعات أخرى غير ما يتعلَّق بعقيدة الاعتزال، من ذلك: إساءته الأدب لمقام النبي -صلى الله عليه وسلم-، حيث قال في تفسير قوله تعالى: ((عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ))

(عَفَا اللَّهُ عَنكَ) كناية عن الجناية، لأن العفو رادف لها، ومعناه: أخطأت وبئس ما فعلتَ، و(لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ) بيان لما كنى عنه بالعفو، ومعناه: مالَك أذنتَ لهم في القعود عن الغزو حين استأذنوك واعتلوا لك بعللهم؟، وهلَّا استأنيتَ بالإذن (حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ) مَن صدق في عذره ممن كذب فيه؟، وقيل: شيئان فعلهما رسول الله ولم يؤمر بهما؛ إذنه للمنافقين وأخذه من الأسارى، فعاتبه الله تعالى. ا.هـ.

ثالثًا: وقفة مع كتاب (تنزيه القرآن عن المطاعن) للقاضي عبد الجبار:

***التعريف بالقاضي عبد الجبَّار:**

هو قاضي القضاة أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد بن الخليل الهمداني، شيخ المعتزلة، عاش دهرًا طويلًا وفاق أقرانه،

وخلَّف مصنَّفات في أنواع مختلفة من العلوم، وانتهت إليه رياسة المعتزلة، وصار شيخها وعالمها، وكانت وفاته في ذي القعدة 415 هـ. * التعريف بكتاب (تنزيه القرآن عن المطاعن):

هذا الكتاب لم يقصد فيه مؤلفه أن يعرض لشرح كتاب الله آية آية، بل كان كل همِّه –كما ذكر في كتابه- موجهًا إلى الفصل بين مُحكم الكتاب ومتشابهه، وإلى بيان معانى هذه الآيات المتشابهة، ثم إلى بيان خطأ فريق من الناس في فهمها، وهو يقصد بهذا الفريق أهل السُّنَّة الذين لا يرون رأيه في القرآن، ولا ينظرون إلى القرآن نفس نظرته الاعتزالية.

وقد تأثَّر القاضي عبد الجبار في كتابه هذا تأثُّرًا كبيرًا بمذهبه الاعتزالي، فلا يكاد يمرُّ بآية تُعَارِض مذهبه إلا صرفها عن ظاهرها، ومال بها إلى ناحية معتقده الاعتزالي.

رابعًا: أقوال أئمة أهل السنَّة في تفسير المعتزلة:

أ-حُكم شيخ الإسلام ابن تيمية على تفسير المعتزلة:

حَكم شيخ الإسلام ابن تيمية على تفسيرهم فقال: "إن مثل هؤلاء اعتقدوا رأيًا ثم حملوا ألفاظ القرآن عليه، وليس لهم سَلَف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولا من أئمة المسلمين، لا في رأيهم ولا في تفسيرهم، وما من تفسير من تفاسيرهم الباطلة إلا وبطلانه يظهر من وجوه كثيرة، وذلك من جهتين: تارة من العلم بفساد قولهم، وتارة من العلم بفساد ما فسَّروا به القرآن؛ إما دليلاً على قولهم، أو جوابًا على المعارِض لهم، ومِن هؤلاء مَن يكون حسن العبارة فصيحًا ويدسُّ البِدَع في كلامه، وأكثر الناس لا يعلمون، كصاحب الكشَّاف ونحوه، حتى إنه يروج على خلق كثير -ممن لا يَعتقد الباطل- من تفاسيرهم الباطلة ما شاء الله، وقد رأيتُ من العلماء المفسِّرين وغيرهم مَن يذكر في كتابه وكلامه من تفسيرهم ما يوافق أصولهم التي يعلم أو يعتقد فسادها؛ ولا يهتدي لذلك".

ب-حُكم الإمام ابن القيم على تفسير المعتزلة:

كذلك نجد الإمام ابن القيم يحكم على تفسير المعتزلة حكمًا قاسيًا؛ حيث يقول: "إنه زُبالة الأذهان، ونخالة الأفكار، وعفار الآراء، ووساوس الصدور، ملأوا به الأوراق سوادًا، والقلوب شكوكًا، والعالَم فسادًا، وكل مَنْ له مِسكة من عقل يعلم أن فساد العالَم إنما نشأ من تقديم الرأي على الوحي، والهوى على العقل".

بانتهائنا -بحول الله وقوته- من الكلام على (التفسير بالرأي المذموم) نكون بحمد الله قد أنهينا المقرر الدراسي الخاص بمادة (مناهج المفسرين).

وختامًا أقول: ولَقد خَتَمْتُ بذا الختام مَقَالتيوعلى الإله توكُّلي وثَنَائي**

إنْ كان توفيقٌ فمن ربِّ الوَرَىوالعجْز للشيطان والأَهْوَاء**

في حِينها أدعُو الذي بدُعَائِهيمحو الخَطَا ويَزيدُ في النَّعْمَاء**

سُبحانَك اللهمَّ ثمَّ بحمْدِكَأستغفركْ وأتوبُ من أَخْطَائِي**

أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه؛؛؛

الحمْد لله ربِّ العالمين

الحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصَّالحات

:أكليل الورد